□ دَناءَةُ الهِمَّـةِ □

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها ستأتي على الناس سُنونٌ خدَّاعة، يُصَدَّق فيها الكاذب، ويُكذَّب فيها الصادق، ويُؤتَمنُ فيها الخائن، ويُخَوَّن فيها الأمين، وينطِق فيها الرُّوَيْبِضَةُ». قيل: وما الرُّوَيْبضة؟ قال : « السفيه يتكلَّم في أمْر العامَّة »[١] .

نعم .. يعلو التحوتُ الوعولَ .. كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : « فُسول الرجال وأهل البيوت الغامضة يُرْفَعون فوق صالحيهم . والوعول أهل البيوت الصالحة »[٢] .

ومع دناءة الهِمَّة وخساستها ، لا تجد إلَّا قحطًا في الرجال بل في زماننا هذا يحيض الرجال .

دهرُنا هذا قد غربلَ أَهْلِيهِ أشدَّ غربلةٍ ، فسفسف أخلاقهم ، وسفّه أحلامهم ، وخبَّث ضمائرهم .

تمامًا مثل ما قال ابن حزم في ملوك الأندلس وحرصهم على عروشهم : « والله لو علموا أن في عبادة الصُّلبان تمشية أمورهم بادروا إليهم ، فنحن نراهم يستمدُّون النصارى ، فيُمكِّنوهم من حُرم المسلمين وأبنائهم ، وربَّما أعطوهم المدن والقلاع طَوْعًا ، فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس »[٣] .

هانت عليهم المنابر والمحاريب والجوامع ، فما لبثوا أن أُقيم بها الصلبان

---

(١) إسناده جيد : رواه أحمد ، وقال ابن كثير في « النهاية في الفتن والملاحم » (١/١٨١) : هذا إسناد جيد و لم يخرِّجوه من هذا الوجه . وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده حسن ، ومتنه صحيح .

(٢) أشراط الساعة ، للشيخ يوسف الزامل صـ ١٨٠ – دار ابن الجوزي .

(٣) رسائل ابن حزم ٣ / ١٧٦ .

وثبتت بها القساوسة والرُّهبان ، كلُّهم يقول : رَعْيُ الخنازير أَوْلَى من رعي الجِمال .

كلُّهم صار أحطَّ من أبي عبد الله الصغير ، الذي ضاعت على يديه الأندلس، وقالت له أُمُّه: ابكِ بكاء النساء مُلكًا، لم تُحافظ عليه مثل الرجال.

يقول أحد ملوك العرب المعاصرين : « أنا لا أسعى لعقد صُلحٍ مع إسرائيل ، بل أُهروِل هرولةً » . نعم فهو من صانعي السلام في مدريد .

لم يَسْتَقِلُّوا الصّافِناتِ وإنَّما ... ركِبُوا بغالًا سَعْيُهُنَّ ثقيلُ
جاءوا يَسُوقهمُ الأَعادي عَنْوةً ... فهمُ لهم بين الأنامِ ذُيُولُ
جاءوا ويا بئس المجيء كأنهم ... حُمُرٌ تُساقُ إلى الرَّدَى وعُجُولُ

ليست خيولهم بالعاديات ضبحًا ، ولا هي بالموريات قدحًا ، وما هي بالمغيرات صبحًا .

لهم شموخُ المُثَنَّى ظاهِرًا ولهم ... هَوى إلى بابك الخَرْمِيِّ يَنْتَسِبُ
الحاكمون وواشنطن حكومتُهم ... واللَّامِعُون وما شعّوا وما غربُوا
وما تزال بقلبي ألف مبكيةٍ ... من رهْبةِ البَوْحِ تستحيي وتضطرِبُ
يَكفيك أن عِدانا أهدروا دمنا ... ونحن من دَمِنا نحْسُو ونَحْتَلِبُ

في الماضي كان الجندي التتري يأمر المسلم دنيء الهمَّة « بالقعود مكانه ، ريثما يذهب فيُحضر حجرًا فيقتله به ، فيستسلم لذاك »[1] .

«وفي عصرنا هذا شاهدتُ - كما شاهد غيري في كلِّ مكان - الجندي العراقي المسلم الأسير في حرب الخليج ، وهو يُقبّل يد وقدم الجندي الأمريكي ، ويتذلَّل أمامه ويسأله العفو والمغفرة ، ويردّ العِلْج الصليبي على الجندي العراقي برطانةٍ صليبيَّةٍ وقحة : لا بأس عليك ، أو لا تخف »[2] .

---

(١) علو الهمة ، لمحمد أحمد إسماعيل صـ ٣٢٥ .
(٢) الجزاء من جنس العمل ١ / ٥٦٧ الطبعة الأولى .

في هذا العصر الذي قال فيه قائل العرب : « إني أعرف مكانة أُمّ كلثوم عند العرب.. وأعرف كذلك أن حبّ الكثيرين لها يُوازي حبَّهم لفلسطين»[١].

وحتى يقول صالح جودت شاعرهم ، في قصيدة عنوانها : « دور الشعر والفنّ في تعزيز أخلاق الأُمّة أو انحلالها » ، في الملتقى الفكري الإسلامي التاسع بمدينة تلمسان بالجزائر ، أول شهر رجب سنة ١٣٩٥ هـ .

وبئس ليل ما به آهةٌ ... من أُمّ كلثوم ومن أسمهان[٢]

إي والله هكذا !!

« ودولة عربية تمنح غانية مِزْواجةً وماجنةً لعوبًا ، لقب « فارس » ... وقلّدتْها في حفل رسميٍّ ضمَّ القادة والسادة .. أرفع وسام ! » .

أعجيبٌ أن تستبدَّ لَعُوبٌ ... قد علا كعبُها على كلِّ هامِ

تُصدر الأمر للزعيم فَيَهْوِي ... صاغرًا عند ساقِط الأقدام

يا بلادًا عزَّ الفوارسُ فيها ... وخلا ساحُها من الضِّرغام

واستبدَّ البُغَاثُ في ذروةِ النَّسْرِ ... وقاد الأُسودَ سربُ النّعامِ[٣]

« في زمنٍ أصبحت راقصة فيه هي الرمز والقدوة والمثل .. تستطيع أن تُشعل حربًا أو تمنعها .. في وقتٍ يفشل الساسة .. أصبحت رمزًا لكلِّ شيءٍ ؛ السياسة ، والفكر،الأدب ، الكتابة .. حتى الاقتصاد »[٤] .

« في عصرنا هذا ، رأيتُ في الجرائد – كما رأى غيري – صورة وزير يهوديٍّ في الحكومة الإسرائيلية ، يدخل إلى الجامع الأزهر كسائح ، ويبلغ به الصلف والكِبْر أن لا ينحني ليفكَّ رباط حذائه ، ويركع تحت قدميه شيخٌ معمَّم

---

(١) في رحاب الأقصى ، ليوسف العظم صـ ٢١٢ .

(٢) المصدر السابق صـ ٢٧٢ .

(٣) المصدر السابق صـ ١٩٤ .

(٤) زمن فيفي عبده ، لعماد ناصف صـ ١١ – المركز العربي للصحافة والنشر .

ممن يعملون بالمسجد ؛ ليفكّ له الرباط »[1] .

بل والله تدخل اليهوديات شبه عرايا إلى ساحة المساجد .

بنتُ صهيونٍ في المساجد تلهو ... قد تعرَّتْ أفخاذُها والنّهودُ
بنتُ صهيونٍ في المدائن تجري ... «ويهوذا» على القِبابِ يُشيدُ
وعلى «القدس» مِسْحَةٌ من ضياعٍ ... وبكى يومَها الترابُ الشهيدُ
ارقُصِي بنتَ صهيونٍ وتيهي ... فوقَ أشلائنا فنحن عبيدُ
مَلَكَ الخوفُ فِكْرَنا واسْتَبَاهُ ... واستبدَّ الخَنَا بنا والجحودُ
كيف تغشَى الوَغَى نفوسُ عبيدٍ ... أثقلتْها مظالمٌ وقيودُ
وتُطيلُ السجودَ في كلِّ حِينٍ ... ولغير الإلهِ ذاكَ السجودُ[2]

ولا تعجب ؛ فنحن في عصر التطبيع بـ « المايوه » الإسرائيلي .. فها هو « مؤتمر يُعقد في القاهرة تحت رعاية المفوّضية الأوربية والغرفة التجارية الألمانية ، وشارك فيه (١٥٠٠) من رجال الأعمال وأصحاب الشركات الخاصة من مصر وإسرائيل والأردن وفلسطين ودول أوربية أخرى ، وشارك في المؤتمر عدد من المسئولين المصريين إلى جانب رجال الأعمال ، ومن الجانب الإسرائيلي شارك ميخا هاريش وزير الصناعة الإسرائيلي .. وقام الوفد الإسرائيلي بتوزيع «مايوهات» مثيرة فاضحة، مع كتالوج فاخر بالألوان لعددٍ من الفتيات الإسرائيليات يرتدين المايوهات ، ووزّعت إحدى الشركات بيانًا أكّدت فيه أنها ترغب في أن ترى على فتيات مصر المايوه الإسرائيلي.. ولم يستطعْ أحد أن يُجيب.. لماذا المايوهات في مؤتمر سياسي اقتصادي؟!! ولماذا توزيع صُوَر الداعرات الإسرائيليات على الوفود العربية في المؤتمر؟! وغار الوفد المصري !!! فدعا رجالُ الأعمال

---

(١) الجزاء من جنس العمل ١ / ٥١٧ .

(٢) قصيدة « بنت صهيون » من ديوان عصر الشهداء ، لنجيب الكيلاني صـ ٩٨ - ٩٩ ، مؤسسة الرسالة .

المصريون نظراءهم الإسرائيليين تحت سفح الهرم ، حيث أُقيم عشاء راقص في خيمة كبيرة أُقيمت على مساحةِ فدَّان تحت سفح الهرم ، واصطفّت الموائد العامرة بكل ما لذَّ وطاب من الأَطعمة والشراب والخمور .. فقد تمَّ ذَبْحُ وطَهْيُ عشرات الأَطنان من الخِراف المشويَّة والدُّيوك الرُّوميَّة ، إلى جانب الموز والتفاح الإسرائيلي- تكامُلٌ حتى في الأكل!!- ودارت الكئوس، وبعدها دارت الرؤوس، ورقصت الراقصة الشهيرة للإسرائيليين قبل المصريين وسط سكارى التطبيع، ورقص الإسرائيليون ومعهم الفلسطينيون.. بل إن بعض الفلسطينيين كانوا يُغنُّون: وستبقى الراية منتصبة و.. فوجئ الجميع بالراقصة المشهورة تأخذها نوبة حماس ، وتختم الرقص في هذا الجوِّ الأزرق بأغنية: يا أحلى اسم في الوجود يا مصر!!»[١].

وشواطئ العراة الخاصّة بالسياح من اليهود، والتي لا يدخلها المصريون ، وما يتمّ فيها من فُحشٍ وزنا وشذوذ ، لا عهد لقوم لوط به[٢]، يَصْدُقُ فيهم قول القائل :

وكنتُ امرأًمن جُندِ إبليس فارتقى ... بيَ الدَّهْرُ حتى صار إبليسُ من جُنْدي

فلوْ مات قبلي كنتُ أُحسِنُ بَعْدَهُ ... طرائقَ فِسْقٍ ليس يُحسِنُها بعدي

انتصارات السَّاسة :

هذا عصرنا .. فلا تعجب حين يُسأل زعيمٌ سياسيٌّ قديم ، وقد رُئِي يومًا ضاحك الأَسارير بادي السرور ، فلمَّا سُئل عن ذلك قال : « وما لي لا أكون كذلك ، وقد أحرزتُ في هذا اليوم ثلاثة انتصارات ؟! فقال له محدِّثُهُ : لك الحق إذن في تهلُّلِك وفرحك ، فنحن في زمنٍ لا نكاد نظفر فيه بانتصارٍ واحدٍ بين مئات الهزائم

---

(١) زمن فيفي عبده صـ ٧٧ - ٧٩ .

(٢) ومن شاء أن يُطالع ، فليطالع كتاب « عرايا إسرائيل فوق أرصفة العرب » لعصام كامل - الطبعة الثانية - مصرية للنشر والإعلام صـ ١٠٣ ، وكلامه عن استعراض الإستربتيز في بعض الحفلات الخاصة جدًا صـ ٥٦ .

ولكن قُل لي : ما هي هذه الانتصارات ، إن لم تكُن سرًّا من الأسرار ؟ قال : أمَّا الانتصار الأول ، فقد دخلتْ غرفة نومي من ثلاثة أيام ، ذبابةٌ أزعجت نهاري وأرَّقتْ ليلي ، وقد حاولتُ جهدي طَرْدها أو قتْلها ، فلم أُفلح ، إلى أن ظفرتُ بها هذا اليوم فقتلتُها شرَّ قتْلةٍ ، وألقيتُها حيث لا يمكن أن تعود ، حتى لو عادت إليها الحياة . قلتُ : والانتصار الثاني ؟ قال : الانتصار الثاني شعرت به وأنا أزِنُ نفسي في الحمَّام ، إذ هبطَ وزني من تسعة وتسعين كيلو ، إلى ثمانية وتسعين ، وسبعمائة وخمسين جرامًا . قلت : والانتصار الثالث ؟ قال : لعبتُ اليوم بالنَّرد مع صديقنا فلان ، فغلبته مرتين متواليتيْن ، وهو الذي كان يغلبني باستمرار .. أفتراني بعد ذلك كلّه حقيقًا بما أنا عليه من السعادة والطلاقة والمرح ؟ قلت : بلى ، بلى »[1] .

بل وهناك انتصار آخر ، يحكيه الدكتور عبد الله عزام في كتابٍ له ، عمَّا حدث في الليلة السابقة لمعركة ٥ يونيو ، حيث جُمع كبار الطَّيَّارين ليلًا مع الداعرات والعاهرات طول الليل ، وكما قالوا : « انتصر الميج المصري على الميراج الإسرائيلي » . والميراج هنا هنَّ الداعرات البغايا :

أترعَ الماجنُ كأسًا من دِمائنا ... وسقاهــا لبغــيٍّ أُرجُوانـــا
ليلةٌ حمراءُ مــا أتعسَهَـــا ... مُلئت ذُلًا رهيبًا وهوانـــا
وإذا الدارُ بَنُوهـا فَرَّطُــوا ... لا تلوموا الذئبَ أن يَرعى حِمانا

وأدنى الناس همَّةً علماء السوء .. علماء الضِّرار .. هذه العمائم الرمم لا القمم ؛ قال ﷺ : « أكثر منافقي أُمتي قُرَّاؤها» . وقال ﷺ : «غير الدَّجَّال أخْوَف على أُمَّتي : الأئمة المُضِلُّون » .

كل حُسْنٍ شاهَ في مِرْآتِهِ ... في الجُسُومِ السُّمُّ من جُرعاتِهِ

---

(١) علو الهمة ، للشيخ محمد إسماعيل صـ ٣٢٦، ٣٢٧- نقلًا عن مجلة «الرائد» العدد ١٥٧ صـ ٣٣-٣٤ . كتبه ع . حسان .

تِهنُ الأعصابُ من أفيونِهِ ... ويموت الحيُّ من تلحينِهِ
يَسلُبُ السَّروَ[١] جميلَ المَيْلْ ... ويَرُدُّ الصقرَ مِثْلَ الحَجَلْ
يُسْحَرُ الرُّبَّانُ منها باللُّحونْ ... ولِقاعِ البحرِ تهوي بالسَّفِينْ
يُلْبِس النَّفْعَ لِباسَ الضَّررِ ... ويُري الحُسنَ قبيحَ الصُّوَرِ
في بحارِ الفِكرِ يُلقيك فَلَا ... تشتهيه أو تُطيقُ العَمَلَا
نوَّمتْ ألحانُهُ يقظتَنا ... أطفأتْ أنفاسُهُ شُعلتَنا
أنت للذُّلِّ أَرَحْتَ البَدَنَا ... أنت للإسلام عارٌ في الدُّنا
عاجزُ الهِمَّة مِنْ ذِلَّتِكَا ... وعليلُ الروح مِنْ عِلَّتِكَا[٢]

وقال رحمه الله :

شيخُنا باعَ الدُّمَى مِلَّتَهُ ... جاعلًا زُنَّارَهُ سُبْحَتَهُ
شيَّخ الشيخَ بياضُ الشَّعَرِ ... وهو للأطفالِ مِثْلُ السُّخَرِ
أعينٌ عُمْيٌ حكاها النَّرجسُ ... وصدور من قلوبٍ تفلسُ
عبَّد الأشياخَ فينا المنصبُ ... حُرمةُ الأُمَّة منهم تذهبُ
واعظٌ عيناهُ شَطْرَ الوَثَنِ ... وفتاوى تُشتَرَى بالثمنِ
وَجهُهُ للحانِ ولَّى شيخُنا ... يا رفاقي بعدُ ما تَدْبيرنا

ولدناءة الهمَّة أسبابٌ، منها: الأوَّل: الوَهَن «حُبُّ الدُّنيا وكَرَاهِيَةُ الموت»:

قال الله تعالى : ﴿ **يأيُّها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفرُوا في سبيل الله اثَّاقلتم إلى الأرض أرَضيتُم بالحياة الدُّنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلَّا قليل**﴾ [التوبة: ٣٨]. فثقْلة الأرض ومطامع الأرض وتصوُّرات الأرض .. ثقلة الخوف على الحياة والخوف على المال والخوف على اللذائذ والمصالح

(١) السرو : نبات طويل يصفه الشعراء بالرشاقة والتمايل .
(٢) ديوان الأسرار والرموز لمحمد إقبال ، صـ ٣٣- ٣٤، ٦٢- ٦٣ .

والمتاع .. ثقْلة الدَّعَة والراحة والاستقرار .. ثقلة اللذَّات الفانية والأجل المحدود والهدف القريب .. ثقْلة اللحم والدم والتراب ، تشدُّ إلى أسفل ، وجاذبية الأرض تُقاوم رفرفة الأرواح وانطلاق الأشواق .

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **إنَّ هؤلاء يُحبُّون العاجلة ويذرون وراءهم يومًا ثقيلًا** ﴾ [الإنسان: ٢٧]. «إن هؤلاء ، القريبي المطامح والاهتمامات ، الصغار المطالب والتصوُّرات .. هؤلاء الصغار الزهيدين الذين يستغرقون في العاجلة ... إن هؤلاء لا يُطاعون في شيء ، ولا يُتبعون في طريق ، ولايلتقون مع المؤمنين في هدفٍ ولا غاية، ولا يُؤبه لما هم فيه من هذه العاجلة؛ من ثراء وسلطان ومتاع، فإنما هي العاجلة، وإنما هو المتاع القليل، وإنما هم الصغار الزهيدون»[١] .

وعن ابن مسعود مرفوعًا: «سيكون في آخر الزمان قومٌ يجلسون في المساجد حِلَقًا حِلَقًا، إمامُهم الدنيا؛ فلا تجالسوهم، فإنه ليس لله فيهم حاجة»[٢] .

يا زَمِنَ الهِمَّة ، يا مُقْعَدَ الهزيمة ، يا عليل الفهم ، يا بعيد الذهن ، لو كنتَ من رياش الدنيا أكْسى من الكعبة ؛ لم تخرُج منها إلَّا أعْرَى من الحَجَر الأسود !!

قيل لرجلٍ : ما الذي حبَّب إليك الخلْوة ، وطَرَدَ عنك الفتْرة ؟ قال : وثْبةُ الأكياس من فخِّ الدنيا . وقيل لآخر : لِمَ تخلَّيتَ عن الدنيا ؟ فقال : خوفًا والله من الآخرة أن تتخلَّى منِّي .

مَنْ غرسَ في نفسه شرف الهمَّة فنَبَت ، نَبَتْ عن الأقذار ، ومَن استقرَّ رُكن عزيمته وثبتَ ، وَثَبَتْ نَفْسُهُ عن الأكدارِ .

---

(١) الظلال ٣٧٨٦/٦ .

(٢) صحيح : رواه الطبراني ، وأبو إسحاق الزكي في « الفوائد المنتخبة » ، وابن حبان ، ورواه الحاكم في المستدرك عن أنس ، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١١٦٣) .

يا هذا ، خَسَّتْ هِمَّةُ فرعون ، فاستعظم الحقير : ﴿ **أليس لي مُلْكُ مصرَ** ﴾ . يا دني النفس ، حمارُك ينهق من كفِّ شعيرٍ يراه . الدنيا كلُّها بعوضةٌ ، فما نسبةُ مصر إليها .

يا هذا ، إنما خُلقت الدنيا لتجوزها لا لتحوزها ، ولتعبرها لا لتعمرها ، فاقتل هواك المايل إليها ، واقبل نُصحي لا تُعوِّلْ عليها .

يا هذا ، سبعة يُظلّهم الله في ظلِّه ؛ منهم رجل دعتْه امرأة ذات منصبٍ وجمالٍ فقال : إني أخشى الله . اسمع يا مَنْ أجاب عجوزًا على مزبلة ! ويحك ، إنها سوداء ،ولكن قد غلبتْ عليك . من لا هِمَّة له سوى جمع الحطام معدودٌ في الحشرات .

واعجبًا لنفاسة نفْسٍ رُفعتْ بسجود الملك ، كيف نزلت بالخساسة حتى زاحمتْ كلابَ الشَّرَهِ على مزابل الذُّلِّ! هيهات لن تُفلح الأُسدُ إذا أُنفقت عليها الميتاتُ الفسدُ .

يا ذا اللُّبِّ، حدِّثني عنك، أتنفقُ العمرَ الشريفَ في طلب الفاني الرذيل؟! إنّ الهوى مِرْعادٌ مِبْراق ، بلا مطر . الدنيا لا تُساوي نقْل أقدامِك في طلَبها . أرأيتَ غزالًا يغدو خَلْف كلب ؟! الدنيا مَجَاز ، والأُخرى وطن ، والأوطار في الأوطان أطوار . إيثار ما يفنَى على ما يبقَى ، بِرْسام[1] حادّ . يا أبناء الدنيا ، إنها مذمومة في كلِّ شريعة ، والولد عند الفقهاء يتبعُ الأُمَّ . يا مَنْ هو في حديثها أنطَقُ من سَحبان[2]، وفي انتقاد الدنانير أنسبُ من دغفل[3]. فإذا ذُكرتِ الآخرة فأبلهُ من باقِل[4]. حيلتُك في تحصيلها أدقُّ من الشَّعر ، وأنت في تدبيرها أصنعُ

---

(١) بِرْسام : ذات الجنب ، وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة .

(٢) سَحْبان : بليغ يُضرب به المثل .

(٣) دغفل : اسم رجل ، وهو دغفل بن حنظلة النسَّابة ، من بني شيبان .

(٤) باقل : اسم رجل يُضرب به المثل في العيِّ والعجز عن الكلام .

من النحل ، ، وعينُ حرْصِك عليها أبصرُ من العُقاب[١]، وبطنُ أملِك أعطشُ من الرمل ، وفمُ شرهِك أشربُ من الهِيم[٢]. تجمع فيها الدُّرَّ جمْع الذَّرِّ. يا رفيقًا في البَلَهِ لِدُودِ القَزِّ ! واعجبًا ، ما انتفعتَ بموهبة العقل !!

كدودٌ كدودِ القَزِّ ينسجُ دائمًا ويهلكُ غمًّا وسطَ ما هو ناسجُهْ

ويْحكَ، إنّ سرورَها أقتلُ من السُّمِّ ، وإنّ شرورَها أكثرُ من النمل . إنها في قلبك أعزُّ من النفس ، وستصير عند الموت أهونَ من الأرض . حِرْصُك بعد الشيب أحرُّ من الجمر ، أبقي عُمْر ؟! يا أبردَ من الثلج ، يا مَنْ هو عن نجاته أنومُ من فهد . ضيَّعتَ عُمرًا أنفسَ من الدُّرِّ . أنت في الشرِّ أجرى من جواد ، وفي الخير أبطأُ من أعرج . تسعى إلى العاجل سعْيَ رخٍّ[٣]، وتمشي في الآجل مشْي فرزان[٤]. الزكاةُ عليك أثقلُ من أُحُد ، والصلاة عندك كنقل صخر على ظهر ، وطريق المسجد في حُسبان كَسَلِكَ كفرْسَخي دبر كعب . صدرُك عن حديث الدنيا أوسع من البحر ، ووقت العبادة أضيق من تسعين . معاصيك أشهر من الشمس، وتوبتُك أخفى من السُّهى[٥]. إنْ عرضتْ خطيئة وثبتَ وثوب النمر ، فإذا لاحت طاعةٌ رُغتَ رَوَغان الثعلب . تُقدِمُ على الظُّلم إقدام السَّبُع ، وتخطف الأمانةَ اختطاف الحدأة . يا أظلم من الجلَنْدى[٦]، ما تأمنك غزلان الحرم ، يا كنعان الأمل ، يا نمروذ الحيل ، يا نعمان الزلل ، أنت في حُبِّ المال شبه الحباحب ، وفي تبذير العمر رفيق حاتم . تمشي في الأمل على طريق أشعب ، وستندم ندامة الكسلى . يا عذريَّ الهوى في حُبِّ الدنيا ،

---

(١) العُقاب : طائرٌ حادُّ البصر .
(٢) الهِيم : الإبل العِطاش .
(٣) سعْي رخٍّ : أي سعيًا حثيثًا سهلًا .
(٤) مشْي فِرْزان : أي مشيًا بطيئًا .
(٥) السُّهى : كوكب خفيٌّ .
(٦) الجلَنْدى : الفاجر والعاجز .

يا كوفيَّ الفقه في تحصيلها ، يا بصريَّ الزهد في طلب الآخرة ؛ إنما يُتعبُ في تعليم البـازي ليصيد ما له قدْر ، ولمَّا تعلَّم بازي فكْرك ؛ أرسلتَه على الجيَف .

إخواني ، احذروا الدنيا ؛ فإنها أسْحَر من هاروت وماروت ، ذانك يُفرِّقان بين المرء وزوجه ، وهذه تُفرِّق بين العبد وربِّه ! وكيف لا ، وهي التي سحرتْ سحرةَ بابل . إنْ أقبلتْ شغلتْ ، وإن أدبرتْ قتلتْ .

نظرتْ فأقصدتِ الفؤادَ بسهمِها ثم انثنتْ عنه فكاد يهيـمُ
ويلاه إنْ عَرَضَتْ وإن هي أعرضتْ وقْعُ السِّهامِ ونزْعُهُنَّ أليـمُ

كم في جَرْعِ لذَّاتِها مِن غصص ، طالبُها معها في نَغَص .

بكى عليها حتى إذا حَصَلَتْ بكى عليهـا خوفًـا مِـن الغيـر

إنها إذا صَفَتْ حَلالًا ؛ كدَّرتِ الدِّين ، فكيف إذا أُخِذتْ من حرام ؟! إن لحم الذبيحـة ثقيل على المعاء ، فكيف إذا كان مَيْتة ؟! الظَّلَمة في الظُّلْمة يمشون في جمْع الحُطام ، يُصبحون ويُمسون على فراش الآثام ﴿ **فما ربحت تجارتهم** ﴾ . من نبت جسمُه على الحـرام ، فمكاسِبُهُ كِبريت به يُوقَد . الحجَرُ المغصـوب في البناء ، أساسُ الخراب . أتراهم نَسُوا طيَّ الليالي سالفَ الجبَّارين ﴿**وما بلغوا مِعشارَ ما آتيناهم** ﴾ ؟! فما هذا الاغـترار ﴿ **وقد خلتْ مِن قَبْلِهم المَثُلات** ﴾ فهـل ينتظرون ؟! مَنْ لهم إذا طلبوا العَوْد ﴿ **فحِيلَ بينهم وبين ما يَشْتَهُون** ﴾ ؟! كم بَكَتْ في تنعُّمِ الظالم عينُ أرْمَلَة ، وأُحرقتْ كبدُ يتيم ﴿ **ولَتعلمُنَّ نبأهُ بعدَ حِين** ﴾ .

ويحـك ؛ إنَّمـا تكـون الحـرب بين الأمـثال ، ولذلك مُنـع قـتل النسـاء والصِّبيان ، فأيّ قَدْر للدنيا حتى يحتاج قلبُكَ إلى مُحاربةٍ لها ؟ أما علمتَ أنَّ شهواتها جيَفٌ مُلقاةٌ ، أفيَحسُنُ بباشِقِ المَلِك أن يطير عن كَفِّه إلى مَيْتةٍ ؟ مهْلًا ﴿ **لا تَمُـدَّنَّ عَيْنَيْكَ** ﴾ .

أتشتري أخسَّ الخسـائس يا أنْفَسَ النفائس ؟! أتُؤثِر لحظـةَ لـذَّةٍ تجني حرب البسوس وداحس ؟! .

يا مُقَتِّرِين من حُبِّ الآخرة ، بل يا مفـالس !! اشتَرُوا نفوسكم من الدنيا ؛ تشتروا لها السنادِس .

قَدِمَ ابنُ عمٍّ لمحمد بن واسع عليه فقال له : من أين أقبلتَ ؟ قال : مِنْ طَلَب الدنيا. فقال له: هل أدركتَها؟ فقال له: لا. فقال محمد: يا سبحان الله! أنت تطلبُ شيئًا ولم تُدركه ، فكيف تدرك شيئًا لم تطلبه ؟! .

وأمَّا كَراهية الموت ، فقد قال الطغرائي مُبيِّنًا أثر حُبِّ السـلامة في الانحطاط بالهمَّة :

حبّ السلامة يُثني عَزْم صاحِبِهِ عن المعالي ويُغري المرءَ بالكسل

« إن حبّ الدنيا ، وكراهية الموت صِنوانِ لا يفترقان ، وإن الهمَّة العالية لا تسكن القلب الجبان ، وتأمَّلْ حالَ خسيس الهمَّة ، الذي أورثتْهُ التربيةُ الفاسدةُ حِرصًا على حياةٍ ؛ أيّ حياةٍ ولو ذليلة ، وغرستْ فيه حُبَّ السلامة في موطن الجرأة والإقدام والمخاطرة .

أضحتْ تُشجّعُني هندٌ فقلتُ لها إن الشجاعةَ مقرونٌ بها العَطَبُ
لا والذي حجَّتِ الأنصارُ كعبَتَهُ ما يشتهي الموت عندي مَنْ له أَرَبُ
للحربِ قومٌ أضلَّ الله سَعْيَهمُ إذا دَعَتهمْ إلى حَوْماتِها وَثَبُوا
ولستُ منهمْ ولا أهْوَى فِعالَهمُ لا القتْلُ يُعجبني منهم ولا السَّلَبُ[1]

وقال آخر :

يقول لَيَ الأميرُ بغيرِ جُرْمٍ تقدَّمْ حِينَ حلَّ بنا المِراسُ
فما لَيَ إنْ أطَعْتُك في حياةٍ ولا لي غيرُ هذا الراسِ راسُ[2]

فأين هذا من ذلك العبد الصالح ، الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « طُوبى لعبدٍ آخِذٍ بعنانِ فَرَسِهِ في سبيل الله ، أشْعَثَ رأسُهُ ، مُغْبَرَّةٍ قدماهُ ،

(١،٢) المحاسن والأضداد ، للجاحظ صـ ٥٩ .

والمراس هنا : التضارب في الحرب ، والجَلَد والقوة في ممارسة القتال .

إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في السَّاقَةِ كان في الساقةِ ، إن استأذَنَ لم يُؤْذَنْ لَهُ، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ»[(١)] . والذي قال ﷺ في وَصْفِه : « رجلٌ آخذٌ بِعنَانِ فَرَسِهِ في سبيل الله ، كلَّما سمعَ بهَيْعةٍ[(٢)] استوى على مَتْنِهِ ، ثم طلب الموت مظَانَّه .. » الحديث »[(٣)(٤)] .

ثانيًا : التَّمنِّي :

قال الشاعر :

واتْرُكْ مُنى النَّفْس لا تحسَبْهُ يُشبِعُها   إن المنى رأسُ أموالِ المفاليس

وقال آخر :

إذا تمنَّيْتُ بتُّ الليلَ مُغْتَبِطًا   إن المنى رأسُ أموالِ المفاليس

وبحر التمنِّي « بحر لا ساحل له ، وهو البحر الذي يركبه مفاليسُ العالم ، كما قيل : إن المُنى رأس أموال المفاليس . وبضاعةُ رُكَّابه مواعيد الشيطان وخيالات المُحال والبُهتان ، فلا تزال أمواج الأماني الكاذبة والخيالات الباطلة ، تتلاعب براكبه كما تتلاعب الكلاب بالجيفة ، وهي بضاعة كلِّ نَفْسٍ مَهِينة خسيسةٍ سُفْلِيَّة ، ليست لها همَّة تنال بها الحقائق الخارجيَّة ، بل اعتاضتْ عنها بالأماني الذِّهْنِيَّة ، وكلٌّ بحَسَب حاله ؛من مُتَمَنٍّ للقدرة والسلطان وللضرب في الأرض والتِّطواف في البُلدان ، أو للأموال والأثمان ، أو للنسوان والمردان . فيمثِّل المتمنِّي صورة مطلوبِهِ في نَفْسِهِ وقد فاز بوصولها ، والتَذَّ بالظفر بها ، فبَيْنَا هو على هذه الحال ، إذ استيقظ ، فإذا يده والحصير .

وصاحب الهمَّة العَلِيَّة ، أمانِيّه حائمةٌ حول العلم والإيمان ، والعمل الذي

---

(١) رواه البخاري .

(٢) الهَيْعَة : الصَّوْت تَفْزَع منه وتخافه من عدوٍّ .

(٣) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه .

(٤) علو الهمَّة ، لمحمد أحمد إسماعيل صـ ٣٣٣ - ٣٣٤ .

يُقربه إلى الله ويُدنيه من جواره . فأمانيُّ هذا إيمانٌ ونورٌ وحكمة ، وأماني أولئك خِدَعٌ وغرور »[١] .

« وما أحسنَ ما قال أبو تمام :

مَنْ كان مَرْعَى عزْمِهِ وهُمومِهِ   رَوْضَ الأماني لَمْ يَزَل مَهْزُولا

وعن الحسن قال : المؤمن مَنْ يعلم أن ما قال الله عزَّ وجلَّ كما قال ، والمؤمن أحسنُ الناس عملًا ، وأشدُّ الناس خوفًا ؛ لو أنفقَ جبلًا من مالٍ ، ما أمِنَ دون أن يُعاينَ ، لا يزدادُ صلاحًا وبرًّا وعبادةً ، إلَّا ازداد فَرَقًا ، يقول : لا أنجو ، لا أنجو . والمنافق يقول: سَوادُ الناس كثيرٌ ، وسيُغفر لي ، ولا بأس عليَّ . يُسيءُ العمل ، ويتمنَّى على الله تعالى »[٢] .

«ويقول المتنبي - مُنَزِّهًا نَفْسَه عن الاستغراق في أحلام اليقظة ، ومبيِّنًا كيف أَلِفَ الحقائق ، واعتاد ركوب المخاطر -:

وما كنتُ ممَّن أدركَ المُلكَ بالمُنى   ولكنْ بأيَّامٍ أشَبْنَ النَّواصِيَا

لَبِسْت لها كُدْرَ العَجَاجِ[٣] كأنَّما   تَرَى غَيْرَ صافٍ أن تَرَى الجوَّ صافِيَا[٤]»

ويرحم الله من قال :

وما نيْلُ المطالبِ بالتَّمنِّي   ولكنْ تُؤخَذ الدُّنيا غِلابَا

قال يحيى بن معاذ : « لا يزال العبد مقرونًا بالتَّواني ، ما دام مُقيمًا على وعد الأماني . وما اختار أحدٌ الأماني تقوده ، إلَّا كان أثقلَ ما يكون خَطْوًا، وَوَجَدَ ثَمَّ السراب الخادِع وعَدِم الماء وقت العطش ، وأمَّا المضيءُ النَّفْس، ومَنْ لا أُمنيةَ له من الدعاة ؛ فإنك تجدُهُ سبَّاقًا إلى الخير ، إلى كلِّ خير أبدًا ، وتجده على ريٍّ دومًا ، فإنه إن كان ذا قوةٍ ؛ استقىٰ لنفسه أو استسقىٰ ، فيُجيبه الله بهَطْلٍ من السماء ،

---

(١) مدارج السالكين ١/٤٥٦- ٤٥٧ .

(٢) الزهد ، لابن المبارك صـ ١٨٨ .

(٣) كُدْر العجاج : غبار الحرب .

(٤) علو الهمَّة ، لمحمد إسماعيل صـ ٣٣٩- ٣٤٠ .

وإن كان مُستضْعَفًا ، وجدَ وريثًا لموسى عليه السلام ، يَسقي له ويُزاحم الزِّعاع »[١] .

ثالثًا : التسويف :

أنذرتكم « سوف » ؛ فإنها جُندٌ من جنود إبليس .

فوا أسفًا لمُنْقَطعٍ دون الرَّكْب ، متأخِّر عن لحاق الصحب ، يعدُّ الساعات في «متى» و «لعل»، ويخلو بفكْرِ «عسى» و «هل» . فاحذَر التسويف يا أخي .

ولا تُرْجِ فِعْلَ الخيرِ يومًا إلى غَدٍ لعلَّ غدًا يأتي وأنت فقيدُ

إن النَّفَس قد يخرج ولا يعود ، وإن العين قد تطرف ولا تَطْرِف الأخرى إلَّا بين يدي الله عز وجل .

قال الشاعر :

ولا أدَّخِر شُغْلَ اليوم عن كَسَلٍ إلى غدٍ إنَّ يومَ العاجِزينَ غدُ

رابعًا : إهدار الوقت في كثْرة الزِّيارة للأقارب والأصحاب ، بدون هدفٍ شرعيٍّ صحيح وفائدة معتبرة :

وذلك بدعوى الأُخُوَّة والتناصُح ، فيكثُرُ في المجلس اللَّغْو والمزاح ، وتقلُّ الفائـدة . قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى : « أعوذ بالله من صُـحبة البطَّالين ؛ لقد رأيتُ خلقًا كثيرًا يجرون معي فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة ، ويسمُّون ذلك التَّردُّد : خدمة ، ويُطيلون الجلوس ، ويجرون فيه أحاديث الناس وما لا يعني ، ويتخلَّلُهُ غِيبة . وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس ، ورُبَّما طَلَبَه المَـزُور وتشوَّق إليه واستوحش الوحدة ، وخصوصًا في أيام التـهـاني والأعياد ، فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض ، ولا يقتصرون على الهناء والسلام، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان . فلمَّا رأيت أن الزمان أشرف شيء والواجب انتهابه بفعْل الخير ، كرهتُ ذلك ، وبقيتُ معهم بين أمرين :

---

(١) الرقائق ، لمحمد أحمد الراشد صـ ٤٥- ٤٦ .

إن أنكرتُ عليهم ، وقعتْ وحشة لموضع قطْع المألوف ، وإن تقبَّلْتُهُ منهم ، ضاع الزمان ، فصرتُ أُدافِع اللقاء جهدي ، فإذا غُلبتُ قصَّرتُ في الكلام لأتعجَّل الفراق »[1] .

قال ﷺ: «نعمتان مغْبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس : الصحة والفراغ » . متفق عليه .

والوقتُ أنْفَسُ ما عُنِيتَ بحِفْظِهِ وأراه أسْهَل ما عليك يَضيعُ

يا هذا، العمر عمرٌ قليل، وقد مضى أكثره بالتعليل ، وأنت تُعرِّض البقية للتأويل ، وقد آن الآن أن يرحل النزيل .

ما أرْخص ما يُباع عمرُك ، وما أغْفَلَك عن الشِّرا ، والله ما بَيْعُ إخوةِ يوسف « يوسف » بثمنٍ بخْسٍ ، بأعْجَبَ من بَيْعِك نَفْسَك بمعصيةِ ساعةٍ وتضييع ساعةٍ، فمتى يرعوي الفؤاد، يا مسافرًا بلا زاد، ولا راحلة ولا جواد ، يا زارِعًا قد آن الحصاد ، يا طائرًا بالموت يُصاد ، احذر الفَوْت ؛ ضياع الوقت ، فالفوت أشدُّ من الموت ، فالموت يقطعك عن الدنيا وأهلها ، والفوت يقطعك عن الله والدار الآخرة . جسمُك في واد ، وأنت في واد ، نُثر الدُّرُّ لديك ، وما تنتقي، وقُرِّبت المراقي إليك وما ترتقي.. يا واقفًا في الماء الغَمْر وما يُنقي ، لقد ضيَّعتَ ما مضى ، وشرعت في ما بقي .

إن قلتُ قُمْ قال رِجْلي ما تطاوعني أو قلتُ خذ قال كَفِّي ما تُواتيني

خامسًا : كَثْرَة التمتُّع بالمباح ، والتَّرف الزائد ، والترفُّل في النعيم :

وكلُّ هذه الأمور من العوامل الفَتَّاكة ، القاضية على الهمَّة .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «قال لي يومًا شيخ الإسلام- قدَّس الله روحه- في شيءٍ من المباح: هذا يُنافي المراتب العالية ، وإن لم يكُن تَرْكه شرطًا في النجاة، فالعارف يترك كثيرًا من المباح بَرْزَخًا بين الحلال والحرام »[2] .

---

(١) قيمة الزمن عند العلماء صـ ٢٨ .

(٢) مدارج السالكين ٢/٢٦ .

هذا ، والذي لام عليه الإمامُ ابن تيمية تلميذهُ « شيء من المباح » ! فما بالكم بما نراه اليوم من تمتُّع الدُّعاة بمباحاتٍ ونعيمٍ لا يعرفه الملوك السابقون[1] .

ذكر ابن حجر العسقلاني، أن تاج الدين المراكشي- أحد فقهاء الشافعية- كان قد « انقطع بالمدرسة الأشرفية مُلازمًا للقراءة والاشتغال ، صبورًا على ذلك جدًّا ، بحيث يمتنع عن الأَكْل والشرْب والملاذّ بسبب ذلك »[2] .

وهذه الأمور من المباحات قطعًا ، ولكن ذلك الفقيه عَلِم أنَّ الإكثار منها والوَلَع فيها ، سببٌ لسقوط الهمَّة وضعْف العمل .

وذكَر السبكيُّ في « الطبقات » ، أن أباه الإمام تقيّ الدين كان من الاشتغال على جانبٍ عظيمٍ ، بحيث يستغرق غالبَ لَيْلِهِ وجميعَ نهاره .. كان يخرج من البيت صلاة الصبح ، فيشتغل على المشايخ إلى أن يعود قُرَيْب الظهر ، فيجد أهل البيت قد عملوا له فَرُّوجًا فيأكله ، ويعود إلى الاشتغال إلى المغرب ، فيأكل شيئًا حُلوًا لطيفًا ، ثم يشتغل بالليل، وهكذا لا يعرف غير ذلك ، حتى ذكَر لي أن والده قال لأُمِّه : هذا الشاب ما يطلُب قطُّ درهمًا ولا شيئًا ، فلعلَّه يرى شيئًا يريد أن يأكله ، فضعي في منديله درهمًا أو درهمْين . فوضعت نصف درهم . قالت الجدة : فاستمرَّ نحو جمعتين وهو يعود والمنديل معه والنصف فيه ، إلى أن رمَى به إليَّ وقال : أيش أعملُ بهذا ؟! خُذُوه عني[3] .

سادسًا : كثْرة الخلْطة وصُحْبة البَطَّالين الذين سَفُلتْ همَّتُهم :

وكثرة الخُلْطة وصُحبة البطَّالين تُطفِئ نور القلب ، وتعوِّر عين بصيرته ، وتُثقل سمْعه ، إن لم تُصِمَّه وتُبْكِمه وتُضعف قُواه كلها ، وتوهن صحته وتُفتِّر

(١) الهمَّة طريق إلى القمة ، لمحمد بن حسن بن عقيل ، صـ ٦٣ دار الأندلس جدة .
(٢) الدُّرر الكامنة لابن حجر ٣/٣٨٧ .
(٣) طبقات الشافعية للسبكي ١٠/١٤٤، و « الهمة طريق إلى القمة » صـ ٦١- ٦٢ .

عزيمته ، وتُوقف همَّته ، وتُنكسه إلى ورائه ، ومَنْ لا شعور له بهذا فميِّتُ القلب ، وما لجُرحٍ بميِّتٍ إيلام ، فهي عائِقةٌ له عن نَيلِ كماله ، قاطعةٌ له عن الوصول إلى ما خلق الله ، وجَعَل نعيمَهُ وسعادتَهُ وابتهاجَه ولذَّتَه في الوصول إليه .

فأمَّا ما تؤثِّره كثرة الخُلْطة : فامتلاء القلب من دُخان أنفاس بني آدم حتى يسودَّ ويُوجب له تشتُّتًا وتفرُّقًا ، وهمًّا وغمًّا ، وضعْفًا ، وحَمْلًا لما يعجز عن حمْله من مؤنة قُرَناء السوء ، وإضاعة مصالحه ، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم ، وتَقَسُّم فكْره في أودية مطالبهم وإرادتهم ، فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة ؟ هذا ، وكم جلبتْ خُلطة الناس من نقمةٍ ، ودفعت من نعمةٍ ، وأنزلت من محنة ، وعطَّلتْ من منحة ، وأحلَّتْ من رَزِيَّة ، وأوقعتْ في بَلِيَّة ، وهل آفة الناس إلا الناس ، وهل كان عَلَى أبي طالب - عند الوفاة - أضرُّ من قُرناء السُّوءِ؛ لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمةٍ واحدةٍ تُوجِب له سعادة الأبد.

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «إنَّما مَثَل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المِسْك ونافخ الكِير[1]؛ فحامِل المسك : إمَّا أن يُحْذِيَك[2]، وإمَّا أن تبتاع منه ، وإمَّا أن تجد منه رِيحًا طَيِّبة . ونافخ الكير :إمَّا أن يحرق ثيابَك ، وإمَّا أن تجد منه ريحًا خبيثة »[3] .

فحذار من مُجالسة المُثبِّطين من أهل التبطُّل والتعطُّل واللهو والعَبَث ؛ فإن « طَبْعك يسرق منهم وأنت لا تدري ، وليس إعداءُ الجليس جليسَهُ بمقاله وفعاله فقط ، بل بالنَّظَر إليه ! والنظر في الصُّوَر يُورث في النفوس أخلاقًا مناسبة لخُلُق المنظور إليه! ومن المُشاهد أن الماء والهواء يَفْسُدان بمجاورة الجيفة، فما

---

(١) الكير : جلد غليظ يُنفخ فيه النار .

(٢) يُحذيك : يعطيك .

(٣) متفق عليه واللفظ لمسلم .

الظَّنُّ بالنفوس البشرية ؟! »[١] .

ولا تجلسْ إلى أهل الدَّنايـا فإن خلائقَ السُّفَهاءِ تُعْـدِي[٢]

فالبطالون قُطَّاع الطريق إلى الله عز وجل والدار الآخرة ، ومعاشرتهم سُمٌّ ، والقُرب منهم هلاك .. كلٌّ منهم زَمِنٌ مريضٌ يسعى إلى زمْنَى مثله ، قبر يسعى إلى قبور مثله .

« وإن دعت الحاجة إلى خُلْطتهم ، فالحذر أن يوافقهم عالي الهمَّـة ، وَلْيصبر على أذاهم ، والصبر على أذاهم خيرٌ وأحسن عاقبةً ، وأحمدُ مآلا ، وإن دعت الحاجة إلى خُلطتهم في فُضُول المُباحات ، فليَجْتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعةً لله إن أمكنه ، ويُشجِّع نفسه ويُقوِّي قلبه ، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك ، بأن هذا رياءٌ ومحبةٌ لإظهار عِلمك وحالك ، ونحو ذلك فَلْيُحارِبه ، وَلْيَسْتَعِنْ بالله ، ويُؤثِّر فيهم من الخير ما أمكنه . فإن أعجزته المقادير عن ذلك ، فَلْيَسُلَّ قلبَهُ من بينهم كَسَلِّ الشعرة من العجين ، ولْيَكُن فيهم حاضرًا غائبًا ، قريبًا بعيدًا ، نائمًا يقظانًا ، ينظر إليهم ولا يبصرهم ، ويسمع كلامهم ولا يَعِيهِ ، لأنه قد أُخِذ قلبه من بينهم ورُقِيَ به إلى الملأ الأعلى ، يَسْبَحُ حول العرش مع الأرواح العلوية الزَّكِيَّة وما أصعب هذا وأشقّهُ على النفوس »[٣] .

وشُغِلتُ عن فَهْمِ الحديث سوى ما كان عنك فإنه شُغُلي
وأُديمُ نحو مُحَدِّثي وجهي ليَرَى أنْ قد عَقِلْتُ وعندكم عقلي

سابعًا : العجز والكسل :

فيكون صاحبه من أصحاب الأماني المتأوهين: «يكون عالمًا بها ، ولا تنهض همَّتُهُ إليها ، فلا يزال في حضيضِ طبعه محبوسًا ، وقلبُه عن كماله الذي خُلق

(١) فيض القدير ٥/ ٥٠٧ .
(٢) علو الهمة ، لمحمد إسماعيل صـ ٣٤٠ .
(٣) مدارج السالكين ١/٤٥٥- ٤٥٦ .

له مصدودًا منكوسًا ، قد أسَامَ نَفْسَهُ مع الأنعام ، راعيًا مع الهَمَل ، واستطاب لُقيمات الراحة والبطالة ، واستلانَ فراشَ العجز والكسل ، لا كمَنْ رُفع له عَلَمٌ فشمَّر إليه ، وبُورِك له في تفرُّده في طلبِه فَلَزِمَهُ واستقام عليه ، قد أَبَتْ غلباتُ شوقه إلَّا الهجرة إلى الله ورسوله ، ومَقَتَتْ نَفْسُه الرُّفقاء إلَّا ابن سبيل يُرافقه في سَيْره »[(١)] .

والعجز والكسل هما العائقان اللذان أَكْثَرَ رسولُ الله ﷺ من التعوُّذ بالله سبحانه منهما ، وقد يعجز العاجز لعدم قدرته ، بخلاف الكسول الذي يتثاقل ويتراخى ممَّا ينبغي مع القدرة ، قال تعالى : ﴿ **ولو أرادوا الخروج لأعدُّوا له عُدَّةً ولكن كَرِهَ الله انبعاثهم فثبَّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين** ﴾ [التوبة : ٤٦] .

قد ترى الرجل موهوبًا ونابغةً ، فيأتي الكسل فيُخذِّل هِمَّته ، ويمحق موهبتهُ ، ويطفي نور بصيرته ، ويشلّ طاقته ، قال الفرَّاء رحمه الله : « لا أرحم أحدًا كرحمتي لرجلَيْن : رجل يطلب العلم ولا فهْم له ، ورجل يفهم ولا يطلبه ، وإني لَأعجب ممَّن في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلَّم » . قال المتنبي :

وَلَمْ أَرَ في عُيوبِ النَّاس عيبًا   كنقْصِ القادرينَ على التَّمامِ[(٢)]

ثامنًا : الغفلة :

آهٍ لنفسٍ رَفَلَتْ من الغفلة في أثوابها ، فَثَوَى بها الأمرُ إلى عَدَم ثوابها ، آهٍ لعيونٍ أعشاها الأمل فسَرَى بها إلى سرابها ، آهٍ لقلوب قلَّبها الهوى عن القرآن إلى ربابها فرَبَا بها ، آهٍ لَمرْضَى عَلِمَ الطبيبُ قدْر ما بها ، وقد رمى بها .

يا غاديًا في غفلة ورائحًا   إلى متى تستحسِنُ القبائحا

يا قلبًا مُشتَّتًا قلَّ نظيرُه ، كم هذا الهوى ؟ ولكَمْ هَوَى أسيرُه . أيُّها القاعد

---

(١) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ٤٦/١ .

(٢) علو الهمَّة ، لمحمد أحمد إسماعيل ٣٣٦ .

عن أعلى المعالي ، سبقَ الأبطالُ ، والبطّال ما يبالي .

إذا أقفَرَ قلبُك من ساكِن: «ويَسَعُني»؛ فتحتِ النفْسُ بابًا لعناكب الغفلة ، فنسجتْ في زواياه من لُعابِ الأمل ، طاقاتِ المُنى . اللهم أجِرِ القلوبَ من جوْرِ النفوس . يا سلطان القلبِ ، نشكو إليك النُّزالَة .

يا غافلًا عن مصيره ، يا واقفًا في تقصيره ، سَبَقَك أهلُ العزائم ، وأنت في اليقظة نائم .

سجيَّتُك تُعلِّمني ؛ فاسمع أُحدِّثك ، فالطبيب لا يكذب : استكثرتَ من بُرُودات الغفلة ، فقعد نشاط العزم . أما تعلم أن مطاعم المطامع ، تولِّد سددًا في كَبِدِ الجدِّ .

فيا أسيرًا في قبضة الغفلة ، يا صريعًا في سكرة المُهْلة ، ويحك قد وهَن العظمُ وما شابتْ همَّة الأمل، أخْلَقَ بردُ الحياة وما انكفَّتْ كفُّ البطالة ، قدمتْ معابرُ العبور وأنت تلهو على الساحل .

العمر أنفاسٌ تسيرُ بل تطير ، والأمل منامٌ لا ترى فيه إلَّا الأحلام فانتبه من رُقاد الغفلة ، وتَيقَّظْ من نوم العُطلة ، وعرِّج عن طريق البطالة ، وابعد عن ديار الوحشة . الفَتْرة حَيْض الطِّباع ، ووقوع العزيمة رؤية النّقا .

قال عمر رضي الله عنه : الراحة للرجال غفْلةٌ .

وسأل سائلٌ ابن الجوزي : أيجوز أن أُفسح لنفْسي في مباح الملاهي ؟ فقال له : عند نفْسك من الغفلة ما يكفيها .

وقال الشيخ حسن البنا ، رحمه الله : دقائق الليل غالية ، فلا تُرخصوها بالغفلة .

وانتبهْ من رقدةِ الغفْـــ ـــلةِ فالعمْـرُ قليــلْ
واطَّرحْ سوف وحتى فهمـــا داءٌ دخيـــلْ

يقول ابن القيم : « لا بُدَّ من سِنَةِ الغفلة ، ورُقاد الغفلة ، ولكن كُنْ خفيفَ النوم » .

يقول الأستاذ محمد أحمد الراشد : « والمراد تقليل الراحة إلى أدنى ما يكفي الجسم ، كلٌّ حَسَب صحته وظروفه ، خاصَّة وأن المؤمن في هذا الزمان أشدُّ حاجةً للانتباه ومعالجة قلبه وتفتيشه ، ممَّا كان عليه المسلمون في العصور الماضية ، ذلك أنهم كانوا يعيشون في محيط إسلامي تسوده الفضائل، ويسوده التواصي بالحق، والرذائل تُجهد نفسها في التستُّر والتَّواري عن أعيُن العلماء وسيوف الأمراء ، أمَّا الآن ؛ فإن المدنية الحديثة جعلتْ كفر جميع مذاهب الكفار، مسموعًا مُبصرًا بواسطة الإذاعات والتلفزة والصحف، وجعلتْ إلقاءات جميع أجناس الشياطين قريبة من القلوب ، وبذلك زاد احتمال تأثُّر المؤمن من حيث لا يريد ولا يشعر بهذا المسموع والمنظور ، فضلًا عن ارتفاع حُكم الإسلام عن الأرض الإسلامية التي يعيش فيها ، فوجب عليه شيءٌ من المجاهدة والمراقبة لوقته ، أكثر مما يجب على السلف . وما أصدق تصوير إمام تركيا « بديع الزمان النورسي » - رحمه الله - لهذه الحقيقة حين يقول : إن هذه المدنية السفيهة ، المصيِّرة للأرض كبلدةٍ واحدة، يتعارف أهلها، ويتناجون بالإثم وما لا يعني بالجرائد صباحًا ومساءً، غَلُظَ بسببها وتكاثَفَ بملاهيها حجابُ الغفلة ، بحيث لا يُخرق إلَّا بصرْف همَّةٍ عظيمة »[(١)] .

إلى كم أقولُ ولا أفعلُ ... وكم ذا أحومُ ولا أنزل
وأزْجُرُ عيني فلا ترعوي ... وأنصحُ نفسي فلا تقبلُ
وكم ذا تُعلِّلُ لي وَيْحَها ... بـ«علَّ» و «سوف» وكم تمطُلُ
وكم ذا أُؤمِّلُ طولَ البقا ... وأغفلُ والموتُ لا يَغْفُلُ

تاسعًا : الفُتُور :

ما أشدَّه من داء تعوَّذ منه رسولنا ﷺ صباحًا ومساءً .

---

(١) الرقائق صـ ٥٧- ٥٩ .

عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ كان يتعوَّذ ويقول : « اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الكسل والهَرَم والمأثم والمغرم »[(١)] .

وقد ذكر أنسٌ رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ كثيرًا يقول : « اللهمَّ إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن ، والعجز والكسل ، والبُخل والجُبن ، وغَلَبَة الدَّيْن وقهر الرجال »[(٢)] .

وقد استعاذ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – من الخور الذي ينتاب المسلمين ، في دعائه المشهور : « اللهمَّ إني أعوذ بك من جَلَد الفاسق وعجْز الثقة »[(٣)] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « إن لكلِّ عملٍ شِرَّةً، ولكلِّ شِرَّةٍ فَتْرة[(٤)] ، فمن كانت فترتُه إلى سُنَّتي فقد اهتدى ، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك »[(٥)] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لكلِّ شيءٍ شِرَّةً ، ولكلِّ شِرَّة فتْرة ، فإنْ صاحبها سدَّد وقارَب ، فارجوه ، وإن أُشير إليه بالأصابع ، فلا تَعُدُّوهُ »[(٦)] .

وعن عبد الله بن عمرو قال: ذُكر عند النبي ﷺ قوم يجتهدون في العبادة اجتهادًا شديدًا ، فقال : « تلك ضرورة الإسلام وشِرَّتُهُ ، ولكلِّ عملٍ شرَّةٌ ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه البخاري .

(٣) الفتور ، لجاسم مهلهل صـ ١١ – دار الدعوة – الكويت .

(٤) شِرَّة : نشاط وقوة . فتْرة : ضعف وفُتُور .

(٥) صحيح : رواه أحمد وابن أبي عاصم في السُّنَّة ، وابن حبان ، والبيهقي في الشعب ، وصححه الألباني .

(٦) صحيح : أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢١٥١) .

فمن كانت فترته إلى اقتصادٍ ، فنِعْمَ ما هو ، ومن كانت فترته إلى المعاصي ، فأولئك هم الهالكون »[(١)] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « يا عبد الله ، لا تكُن مِثْل فلان ، كان يقوم الليل فَتَرَكَهُ »[(٢)] .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت لعبد الله بن قيس : « لا تَدَع قيام الليل ؛ فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه ، وكان إذا مَرِض أو كَسِل ، صلَّى قاعدًا »[(٣)] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيُّها الناس ، خذوا من الأعمال ما تُطيقون ، فإن الله لا يمَلُّ حتى تَمَلُّوا ، وإن أحبَّ الأعمال إلى الله ما دام وإن قَلَّ »[(٤)] .

لكلٍّ إلى شأوِ العُلا حَرَكَاتُ ... ولكنْ عزيزٌ في الرِّجالِ ثباتُ

قال ابن القيم رحمه الله : « فتخلُّل الفَتَرات للسالكين أمرٌ لازمٌ لا بُدَّ منه ، فمن كانت فتْرتُه إلى مُقارَبَةٍ وتسديدٍ ، ولم تُخرجه من فرضٍ ، ولم تُدخله في محرَّمٍ ، رُجيَ له أن يعود خيرًا مما كان ، مع أن العبادة المحبَّبة إلى الله سبحانه هي ما داوم العبد عليها »[(٥)] .

عن حنظلة الأسيدي - وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ - قال : لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال : قلت : نافَقَ حنظلةُ . قال :

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ، وأحمد بنحوه ، ولفظه : « تلك ضراوة الإسلام وشدَّته » . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٦٢) : ورجال أحمد ثقات .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) صحيح : رواه أحمد وأبو داود ، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود رقم (١١٨٠).

(٤) متفق عليه .

(٥) مدارج السالكين ٣/١٢٦ .

سبحان الله ! ما تقول ؟ قال : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يُذكِّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رَأْيَ عينٍ ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافَسْنا الأزواج والأولاد والضيعات ؛ فَنَسينا كثيرًا . قال أبو بكر : فوالله إنَّا لَنلقى مثل هذا . فانطلقتُ أنا وأبو بكر حتى دخلْنا على رسول الله ﷺ ، ثم قال له مثلما قال لأبي بكر،فقال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذِّكْر ، لَصَافَحَتْكم الملائكة على فُرُشكم، وفي طُرُقكم، ولكن يا حنظلة: ساعة وساعة– ثلاث مرات–»[(١)].

فلا تجعلها يا أخي – أنت – ساعة وشهورًا ، بل ساعة وأعوامًا .

وفي الفتور حرمان الخير ، وتشبُّهٌ بالمنافقين ، فهم أشدُّ الناس كسلًا وفُتُورًا ونُفورًا ، قال تعالى : ﴿ **إن المنافقين يُخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى يُراءون الناس ولا يَذْكرُون الله إلَّا قليلًا** ﴾ [النساء : ١٤٢] . وقد أثنى الله على الملائكة فقال : ﴿ **يُسبِّحون الليل والنهار لا يَفْتُرُون** ﴾ [الأنبياء : ٢٠] ، فاختر لنفسك وتقرَّب إلى أيِّ الفريقين :

أنت القتيلُ بكلِّ مَنْ أحْبَبْتَهُ   فاخْتَرْ لنَفْسكَ في الهوى مَنْ تصطفي

وانظر إلى السادة ؛ فهذا ابن مسعود رضي الله عنه ، قال لمَّا بكى في مرض موته : إنما أبكي لأنه أصابني في حال فتْرةٍ ولم يُصبني في حالِ اجتهادٍ .

وعنه رضي الله عنه قال : لا تُغالبوا هذا الليل فإنكم لن تُطيقوه ، فإذا نعسَ أحدُكم فَلْيَنْصرف إلى فراشه فإنه أسْلَمُ له[(٢)] .

« ومن أبرز مظاهر الفتور ، عدمُ استشعار المسئولية المُلقاة على عاتقه ، والتساهُل والتهاون بالأمانة التي حمَّله الله إيَّاها ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **إنَّا عرضْنَا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأَبَيْنَ أن يحملنها وأشفقنَ**

---

(١) رواه مسلم .

(٢) مجمع الزوائد ٢/ ٢٦٠ .

منها وحملها الإنسان إنه كان ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] . وقد تُحدِّثه ساعة، فلا تجد أن همَّ الدعوة يجري في عروقه أو يُؤرِّق جفونه ويقضُّ مضجعه، .. تجد هذا الفاتِر أصبح يعيش بلا هدفٍ أو غاية سامية ، فهبطتِ اهتماماتُهُ وسفُلتْ غاياتُهُ ، وذلَّتْ مطامحُهُ ومآربُهُ ، فلا قضايا المسلمين تشغله ، ولا مصائبهم تُحزنه ، ولا شئونهم تعنيه ، وإن حدث شيءٌ من ذلك ؛ فعاطفة سرعان ما تَبْرُد وتَخْمَد ثم تزول »[1] .

فالعاقل إن كانت له فتْرة ، فلتكُن استراحة مقاتلٍ يعود بعدها إلى العطاء والجهاد ، فوقوفه في الظاهر ، وعدم استكمال نموه، هو في حقيقته انهيار ونزول إلى الأسفل ؛ قال الأستاذ الرافعي : « كل يوم لا أزداد فيه أنا زائد على هذا اليوم » . ومن صَحَّتْ بدايتُهُ صحت نهايتُهُ ، ومن يُقصرٍّ في البدايات يَذْهَل عن الغايات ، وفي تذكُّر أوقات البداية شحْذٌ للهمم وعونٌ على المُواصلة « قال الجُنيد : واشوقاه إلى أوقات البداية . يعني لذَّة أوقات البداية ، وجمع الهمَّة على الطلب والسير إلى الله ، فإنه كان مجموعَ الهمة على السَّيْر والطلب .

ومرَّ أبو بكر الصدِّيق – رضي الله عنه وأرضاه – على رجل وهو يبكي من خشية الله ، فقال : هكذا كنَّا حتى قستْ قلوبُنا »[2] .

« قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه وأرضاه – إن لهذه القلوب إقبالًا وإدبارًا ؛ فإذا أقبلتْ فخُذوها بالنوافلِ ، وإن أدبرتْ فألزِمُوها الفرائض .

وفي هذه الفترات والغيوم والحُجُب – التي تعرض للسالكين – مِن الحِكَم ما لا يعلم تفصيلهُ إلَّا الله ، وبها يتبيَّن الصادق من الكاذب ؛ فالكاذب : ينقلب على عَقِبَيْهِ ، ويعود إلى رسوم طبيعته وهواه . والصادق : ينتظر الفرج ولا ييأس من روح الله ويُلقي نَفْسَهُ بالباب طريحًا ذليلًا مسكينًا مستكينًا ،

---

(١) الفتور ، للدكتور ناصر سليمان العمر صـ ٣٧ – دار الوطن .

(٢) مدارج السالكين بتصرف ١٢٥/٣ .

كالإناء الفارغ الذي لا شيءَ فيه ألبتة ، ينتظر أن يَضَع فيه مالكُ الإناء وصانِعُه ما يصلح له ، لا بسببٍ من العبد ، وإن كان هذا الافتقار من أعظم الأسباب ، لكن ليس هو منك ، بل هو الذي مَنّ عليك به ، وجرَّدك منك ، وأخلاك عنك ، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه . فإذا رأيته قد أقامك في هذا المقام ، فاعلم أنه يريد أن يرحمك ، ويملأ إناءك ، فإن وضعتَ القلب في غير هذا الموضع ، فاعلم أنه قلبٌ مُضيَّع ، فسَلْ ربَّه ومنْ هو بين أصابعه ، أن يَرُدَّه عليك ويجمع شملك به ، ولقد أحسن القائل :

إذا ما وضعتَ القلبَ في غير مَوْضعٍ ... بغير إناءٍ فهو قلبٌ مُضَيَّـعُ»[1]

فالجدّ الجدّ ، فما تحتمل الطريق الفتور .

لا تمضوا في طريق اليأس ، ففي الكون آمال .. لا تتَّجِهُوا نحو الظلمات ؛ ففي الكون شموس .

بَقيت مَدَى الدَّهرِ وعِلْمُك راسخٌ ... وخيرُكَ ممدودٌ وليلُك عامـرُ
يَوَدُّ سناك البدرُ والبدر زاهـر ... ويَقْفُو نداك البحرُ والبحرُ عامرُ
وهُنِّئت أيَّامًا تـوالى نشاطهـا ... كما تتوالى في العقودِ الجواهـرُ

العاشر : الفناء في مُلاحظة حقوق الأهل والأولاد ، واستغراق الجهد في التوسُّع في تحقيق مطالبهم :

وذلك «نظرًا إلى قوله ﷺ : « وإن لأهلك عليك حقًّا » ، مع الغفلة عن قوله ﷺ : « وإن لربِّك عليك حقًّا » ، وقوله : « فأَعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ »[2] .

وقد عدّ القرآن الكريمُ الأهلَ والأولادَ أعداء للمؤمن إذا حالوا بينه وبين طاعة الله عز وجلّ، روى ابن جرير ، عن عطاء بن يسار ، في قوله تعالى :

(١) مدارج السالكين ٣/١٢٦ .
(٢) أصل الحديث رواه البخاري والترمذي والبيهقي .

﴿ يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم فاحْذَرُوهم ﴾ [التغابن : ١٤] . قال : نزلتْ في عوف بن مالك الأشجعي ، كان ذا أهل وولد ، وكان إذا أراد الغزو بَكَوْا إليه ورقَّقُوه، فقالوا: إلى مَنْ تَدَعُنا؟ فيَرِقّ ويقيم، فنزلت: ﴿يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم﴾»[1] .

وقد ورد عن ابن عباس ، وقد سأله عنها رجل ، فقال : هؤلاء رجال أسلموا من مكة، فأرادوا أن يأتوا إلى رسول الله ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعُوهم ، فلمَّا أتوْا رسول الله ﷺ رأَوُا الناس قد فقهوا في الدين ، فهَمُّوا أن يُعاقبوهم ، فأنزل الله هذه الآية : ﴿ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾. وهكذا رواه الترمذي بإسنادٍ آخر، وقال: حسن صحيح. وهكذا قال عكرمة مولى ابن عباس .

فهذا التحذير من الأزواج والأولاد كالتحذير الذي في الآية التالية من الأموال والأولاد معًا : ﴿ إنَّما أموالكم وأولادُكم فتنة ﴾ .. وهذه حقيقة عميقة في الحياة البشرية ... فالأزواج والأولاد قد يكونون مشغلة وملهاة عن ذكر الله كما أنهم قد يكونون دافعًا للتقصير في تبعات الإيمان ، اتِّقاءً للمتاعب التي تحيط بهم لو قام المؤمن فلقي ما يلقاه المجاهد في سبيل الله .. وقد يحتمل العَنَت في نفسه ولا يحتمله في زوجه وولده، فيبخل ويجبُن ليوفِّر لهم الأمن والقرار أو المتاع أو المال ، فيكونون عدوًّا له ، لأنهم صدُّوه عن الخير وعوَّقوه عن تحقيق غاية وجوده الإنساني العُليا ، كما أنهم قد يقفون له في الطريق يمنعونه من النهوض بواجبه ، ويعجز هو عن المُفاصَلَة بينه وبينهم والتجرُّد لله ، وهي كذلك صوَرٌ من العداوة متفاوتة الدرجات .

فَلْيَحْذَر الإنسان ، فإن هذه الوشائج الحبيبة قد تفعل ما يفعل العدوُّ المُكايد ... فإيَّاك والعداوة المستَتِرَّة في بعض الأبناء والأزواج ، وقد قال

(١) علو الهمة ، للشيخ محمد إسماعيل صـ ٣٤١ .

ﷺ: «الولد مَحْزَنَةٌ مَجْبَنَةٌ مجْهَلَةٌ مَبْخَلَةٌ»(١). فأخبثُ الأمراض أخفاها، وشرُّ الأعداء أحلاها ... تحرص على تأمين مستقبل الأولاد ، وتخاف عليهم بعد وفاتك ، ولا تخاف على نفسك وهي الأحقُّ بذلك ؟! فيضيع عمركَ بين زوجةٍ وولدٍ ، بل لا تخاف على دينك .

نُرقِّعُ دُنيانا بتمزيقِ ديننـــا فلا دينُنا يبقى ولا ما نُرَقِّعُ

وصدق الرسول ﷺ حين قال لأبي الدرداء : « قد صدق سلمان ؛ إن لربِّك عليك حقًّا ، وإن لنَفْسك عليك حقًّا ، ولأهلك عليك حقًّا ، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ »(٢) . وابدَأ بما بَدَأ به رسولُ الله ﷺ .

الحادي عشر : اتِّباع الهوى :

قال تعالى : ﴿ **أفرأيت من اتَّخذ إلهه هواه** ﴾ [الجاثية : ٢٣] . وقال تعالى : ﴿ **فاعلم أنّما يتّبعون أهواءهم ومن أضلُّ ممَّن اتَّبع هواهُ بغير هُدًى من الله** ﴾ [القصص : ٥٠] . وقال تعالى : ﴿ **ولا تتَّبع الهوى فيُضلَّك عن سبيل الله** ﴾ [ص : ٢٦] .

أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟ أفرأيتَهُ ؟! إنَّه كائنٌ عجيب يستحقُّ الفرجة والتعجيب ، وهو يَستحقُّ من الله أن يُضِلَّه ، فلا يتداركه برحمة الهُدى ، فما أبقى في قلبه مكانًا للهُدى وهو يتعبَّد هواه المريض .

قال قتادة : إذا هوى شيئًا ركبه . وقال الحسن : المنافقُ يعبد هواه ؛ لا يَهْوَى شيئًا إلَّا رَكِبَهُ .

ومن تذكَّر وصحا وتنبَّه ، وتخلَّص من ربقة الهوى ، فلن يضلَّ ؛ قال رسول الله ﷺ : « ثلاث مُنجيات : خشية الله في السرِّ والعلانية ، والعدل

---

(١) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك عن الأسود بن خلف ، والطبراني في الكبير عن خولة بنت حكيم ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٩٨٦) .

(٢) رواه البخاري .

في الرِّضا والغضب ، والقصْد في الفقر والغنى.وثلاث مُهلكات : هوًى مُتَّبع ، وشُحٌّ مُطاع ، وإعجابُ المرء بنفسه »[1] .

قال سليمان بن داود عليه السلام : الغالب لهواه أشدُّ من الذي يفتح المدينة وحده .

وقال مالك بن دينار من غلبَ شهوات الدنيا ، فذلك الذي يَفْرَقُ الشيطانُ من ظِلِّه . وقال : بئس العبدُ عبدٌ همّهُ هواهُ وبطنُهُ .

وقال صفوان بن سليم : ليأتينَّ على الناس زمان تكون همَّةُ أحدِهم فيه بطنه ، ودينُهُ هواهُ .

وقال بشر: اعلم أن البلاء كلَّه في هواك، والشفاء كلَّه في مخالفتك هواك.

وقال الفُضيل: من استحوذتْ عليه الشهواتُ انقطعتْ عنه موادُّ التوفيق.

وقال يحيى بن معاذ : أصحُّ الناس عزمًا الغالبُ لهواه . وقال: من أرضى الجوارح في اللَّذَّات ، فقد غرس لنفسه شجر الندامات .

وقال الحسن بن علي المطّوعي : صنمُ كلِّ إنسانٍ هواه ، فإذا كَسَره بالمخالفة استحقَّ اسم الهوى .

وقال أبو سليمان الداراني : أفضل الأعمال خلافُ هوى النَّفْس .

وقال السَّرِّيُّ : لن يكمُل رجل حتى يُؤْثر دينه على شهوته ، ولن يهلك حتى يُؤْثر شهوته على دينه .

وقال آخر : الهوى مَلِكٌ عَسُوف ، وسلطان ظالم ، دانت له القلوب ، وانقادت له النفوس .

وقال آخر : إن لكلِّ شيءٍ أباجاد ، وإن أباجاد الحكمة طرْد الهوى ووزْن الأعمال . وعن عيسى بن مريم – عليه السلام – لمَّا سُئل : كيف ندرك جماع

---

(١) حسن : رواه أبو الشيخ في « التوبيخ »، والطبراني في الأوسط عن أنس ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٨٠٢)، وصحيح الجامع رقم (٣٠٣٥) .

الصبر ؟ قال : اجعلوا عزمكم في الأمور كلِّها بين يدي هواكم ، ثم اتخذوا كتاب الله عز وجل إمامًا لكم في دينكم .

وقال الشاعر :

نونُ الهواية من الهوى مسروقةٌ فإذا هويتَ فقد لَقيتَ هَوَانَا

وقال آخر :

وكلُّ امرئ يدري مواقع رُشده ولكنَّه أعمى أسيرُ هَـوَاهُ

يُشير عليه الناصحون بجُهدهم فيأبى قبول النُّصْح وهو يراهُ

هوى نَفْسِهِ يُعميه عن قصْد رشده ويُبصر عن فَهْم عيوب سواهُ[1]

تالله إن جوهر معناك يتظلَّم من سوء فعْلك ؛ لأنك قد ألقيتَهُ في مـزابل الذُّلّ ، ماء حياتك في ساقية عمرك قد اغدودك ، فهو يسيل ضائعًا إلى مهاوي الهـوى ، وينسرب في أسراب البطالة ، فقد امتلأتْ به خَرِباتُ الجهل ومزابل التفريط ، وشربتْه أدغالُ الغفلات ، ويحك اردُدْهُ إلى مزارع التقوى ، لعلّـه يُحدق نور حديقة ، إلى متى يمتدُّ ليلُ الغفلة ؟ متى تأتي تباشير الصباح ؟!

زمانٌ تقضَّى وعيشٌ مضى بنَفْسَي والله تلكَ العُهُـودُ

ألَا قُلْ لسُكَّانِ وادي الحَبيبِ هنيئًا لكمْ في الجِنَان الخلودُ

أفيضوا علينا من الماء فَيْضًا فنحن عَطاشى وأنتمْ ورودُ

حفلات الشكولاتة :

انظر إلى ما صنع الهوى بأهله في زمن يَحيض فيه الرجال :

يقول عماد ناصف في كتابه : « دعاني أحد الأصدقاء وهو نجْل مليونير معروف ولكنه مليونير صغير ، دعاني إلى حفلة أقامها أحد أصدقاء والده بمناسبة نجاح إحدى صفقاته التجارية ، وقال لي ونحن في الطريق : سترى مشهدًا ما

(١) ذم الهوى ، لابن الجوزي صـ ١٦ - ٣٥، تحقيق: مصطفى عبد الواحد- دار الكتب الإسلامية .

رأيتَه في عمرك ولا تتخيَّل أن تراه .. ووصلنا إلى الفيللا الهادئة .. دَخلتُ الفيللا وهي أنيقة غارقة في الفخامة ؛ التُّحف النادرة تتكاثر في كل مكان ، يكفي ثمن قطعة واحدة منها لشراء شقة كاملة ؛ حمام سباحة أنيق يتوسَّط الفيللا، موسيقى هادئة وأضواء حالمة وعطور باريسية نسائية مثيرة تعبق المكان ، رجال يرتدون ملابس أنيقة ونساء يرتدين ملابس تُظهر أكثر ممَّا تُخفي .. تناولتُ العشاء الفاخر في البوفيه المفتوح ، ولكنَّ صورة طفلة من البوسنة تبكي كنت قد طالعتُها في جريدة الصباح قفزتْ إلى ذاكرتي وأنا أشاهد هذه الأطعمة والفواكه والحلوى التي يكفي ثمنها لتسليح جيش البوسنة !!! صورة هذه الطفلة جعلتني أكف عن الأكل .. وأهمس في أذن صديقي : أين هذا المشهد ؟ فقال لي مداعبًا : اصبرْ .. وبعد أن تناول المدعوون الطعام ، بدءوا يشربون أنواعًا شهيرة من الخمور الفرنسية المعتَّقة ذات الماركات الشهيرة .. ثم خفِضتِ الأضواء ومعها الموسيقى .. وجاء صوت امرأة ناعم وهو يقول : والآن جاءت اللحظة المرتَقبة .. لحظة سعداء الحظ . وفجأة وجدتُ فتياتٍ ونساءً شبه عاريات فقط يرتدين ملابِسَهُنَّ الداخلية .. وعلى أجسادهنَّ سائل لَزِجٌ عرفتُ أنه شيكولاتة .. ثم توسَّطتْ كلُّ فتاة مجموعة من الرجال ، ثم بدأ رجال كل مجموعة يلحسون هذه الشيكولاتة من فوق أجساد الفتيات .. وأخذني صديقي من دهشتي القاتلة وقال لي : هذه هي المفاجأة التي يطالعها الكبار كلَّ يوم .. والرجل الذي يلتهم الشيكولاتة أولًا من فوق جسد الفتاة أو السيدة ينالها هذه الليلة ، فهو سعيد الحظِّ من بين مجموعته !!! لم أصدق نفسي وأنا أرى هذه المشاهد التي ألجمتني صدمة رؤيتها .. قلتُ : إنه شذوذ.قلت : إنها حالة عارضة أو عابرة .. ولكنِ اكتشفت أنها حفلات شهيرة يعرفها أصحاب المليارات والأثرياء الكبار تعرَف باسم حفلات الشيكولاته .. وهي متفشِّية بين هذه الأوساط ؛ في المقطَّم والمهندسين وكنج مريوط بالإسكندرية ومعظم القُرىٰ

السياحية ، وبعض الأماكن التي لا يرتادها إلا الكبار .. »[١] .

وما تزالُ بقلبي ألفُ مُبكيةٍ   من رهْبةِ البوح تستحيي وتضطربُ

وتسوق إلينا جريدة « المساء » في ١٩٩٦/٨/٢٥ إعلانًا كبيرًا عن كتاب يُسمَّى « نساء العرب » وخلال هذا الإعلان تقرأ : « ٢٠٠ ألف امرأة عربية بملابس خليعة يجتمعن من مختلف الأقطار العربية في حديقة «هايد بارك» البريطانية؛ ليرويَ الرجالُ ظمأهنَّ وشَبَقَهُنَّ » .

وما تزال بقلبي ألفُ مبكيَةٍ   من رهْبةِ البوحِ تستحيي وتضطربُ

الثاني عشر : العِشْق :

«العِشْق من أغراض البطَّالين ، وأمراض الفارغين ، يَنْحَل الأشباح النحول ، فيُنْحِل الأرواح بالذُّبول، فالدَّمْع هاطِل، والرأي عاطل، والحسَرَاتُ تتتابع، والزفرات تتتابع ، والأنفاس لا تمتدُّ ، والوسواس يشتدُّ ، والعيون طول الليل ساهرة ، والقلوب قد نسيت الآخرة .

وصاحبه يحصرُ هِمَّته في حصول معشوقه ، فيُلهيه عن حُبِّ الله ورسوله ﴿ **بئس للظالمين بدلًا** ﴾ . إن عالي الهمَّة لا يستأسر للعشق الذي « يمنع القرار ، ويسلب المنام ، ويولِّه العقل ، ويُحدث الجنون ، وكم من عاشق أتلف في معشوقه ماله وعِرْضه ونَفْسَهُ ، وأتلف دينه ودنياه . والعشق يترك المِلِكَ مملوكًا ، والسلطان عبدًا ، ترى الداخل فيه يتمنَّى منه الخلاص ، ولات حين مناص ، وكم أكبَّت فتنة العشق رؤوسًا على مناخرها في الجحيم ، وأسلمتْهم إلى مقاساة العذاب الأليم ، وجرَّعتهم بين أطباق النار ، كؤوس الحميم »[٢] .

ولو فكَّر الإنسان في عيوب المحبوب ، وأنه أنذل من أن تُبذل في مثله

---

(١) زمن فيفي عبده ، لعماد ناصف صـ ٢٩- ٣٢، المركز العربي للصحافة والنشر والإعلام .

(٢) علو الهِمَّة صـ ٣٤٠- ٣٤١ ، روضة المُحبين لابن القيم صـ ١٨٢ - ١٩٠ .

القلوب ، ما هو إلا جسد مبنيٌّ من صلصال ، إن قلت له : صل ؛ صال .

قال المتنبي :

لو فكَّرَ العاشق في منتهى حُسْنِ الذي يُسْبِيهِ لم يسبهِ

وأنجع من هذا : زجْرُ الهِمَّة الأبيَّة عن المقامات الدنيَّة ، مع تفويتها المراتب العليَّة ، وما أحسن قول أبي فراس ، وقد أحسن فراس :

لقد ضلَّ مَنْ تحوي هواه خريدةٌ وقد ذلَّ مَنْ تقضي عليه كعابُ

ثم أين الأَنَفَة من الذلِّ ، والحبّ على الحقيقة كالغُلِّ .

قال أعرابي : ما أشدَّ تحويل الرأي عند الهوى ، هو الهوان وإنما غُلط باسمه فاشتقَّ له من جنسه ، وإنما يعرف ما أقول مَنْ أبكَتْه المنازل والطُّلول .

يا هذا ، قسْ لقمة آدم وعفاف يوسف على أمرك .

وأيُّ ذُلٍّ ورقٍّ أنكى من ذُلِّ رجل يقول لمعشوقته :

أتاني منك سبُّك لي فسبِّي أليس جرى بفيك اسمي فحسبي

هل هذا يُعدُّ من الرجال .. لا والله .. أو قول الآخر :

لو كان لي قلبان عشتُ بواحدٍ وتركتُ قلبًا في هواكِ يُعذَّبُ

وقول الآخر :

ألستَ وعدتني يا قلبُ أني إذا ما بنتُ عن ليلى تتوبُ

فها أنا تائبٌ عن حُبِّ ليلى فما لك كلما ذُكرتْ تذوبُ

وانظر إلى العشق كيف يجعل من رجل أشقى الآخرين :

فعن عبيد الله أنَّ النبي ﷺ قال لعليٍّ : « يا علي ، مَنْ أشقى الأوَّلين والآخرين ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : أشقى الأوَّلين عاقرُ الناقة ، وأشقى الآخرين الذي يطعنك يا علي . وأشار إلى حيث يطعن »[1] .

(١) صحيح : أخرجه ابن سعد في الطبقات ، وله شاهد عند الطبراني في المعجم الكبير والحاكم ، وأحمد والبزار ، وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٠٨٨) .

فما قتل عبد الرحمن بن ملجم علي بن أبي طالب إلا بسبب عشقه لقطام ، وهي امرأة من تيم الرباب ، كانت ترى رأي الخوارج ، فلما أبصر بها عبد الرحمن عشقها فخطبها ، فقالت : لا أتزوَّجُك إلا على ثلاثة آلاف ، وقتْل علي بن أبي طالب . فتزوَّجها على ذلك ، وقتل عليًّا رضي الله عنه .

ولقد جرت على العشاق محنٌ لا تُطاق ؛ كان مجنون ليلى لا يعرف نهارًا ولا ليلًا ، غلب على قلبه الوسواس ، فهرب إلى الوحش من الناس ، فهو القائل :

إني لَأجلسُ في النادي أُحدِّثُهم ... فأستفيقُ وقد غالتني الغولُ
يهوى بقلبي حديث النفس نحوكُمُ ... حتى يقول جليسي أنت مخبولُ

ومرَّ المجنون على زوجها وهو يصطلي بجمر ، فقال له : يا عمرو .

بربِّك هل ضممت إليك ليلى ... قُبيل الصُّبحِ أو قبَّلتَ فاها
وهل رفَّتْ عليك قرونُ ليلى ... رفيفَ الأقحوانة في نداها

فقال له : نعم . فقبض من الجمر الذي لديه بيديه ، فما رماه حتى سقط لحمُ كفَّيْه ، وخرَّ مغشيًّا عليه . وكان إذا رأى الجبل قال : ليلى ، وإذا رأى البحر قال : ليلى.ولقد قدَّم ذات يوم طعامًا لذئب ، ولما عوتب : لِمَ منحتَ الذئب نيلا ؟ فقال : سامحوني ، فإنَّ عيني رأتْه مرَّةً في حيٍّ ليلى . وهو الذي تقع ظبية في الأسر ، فينظر إلى الظبية طويلًا ، ويُطلق سراحها ، ويقول :

أيا شِبْه ليلى لن تُراعي فإنني ... لكِ اليومَ من بين الوحوش صديقُ
فما أنا إذ أشبهتها ثم لم تؤُبْ ... سليمًا عليها في الحياة شفيقُ
فِفرَّ فقد أطلقتُ عنك لحُبِّها ... فأنت لليلى ما حييتُ طليقُ

ويبكي . ولمَّا يُعاتَب يقول :

أتلحى مُحبًّا هائم القلبِ أن رأى ... شبيهًا لمن يهواه في الحبل موثقَا
فلمَّا دنا منه تذكَّر شجْوَهُ ... وذكَّره مَن قد نأى فتشوَّقا

وهو القائل :

تعلَّقَ رُوحي رُوحَها قبل خلقها ... ومن بعد ما كنا نطافى وفي المهدِ
وإني لمُشتاقٌ إلى ريح جيبها ... كما اشتاق إدريس إلى جنة الخلد

وهو القائل :

ولا سُمِّيتْ عندي لها من سَمية ... من الناس إلَّا بلَّ دمعي ردائيا
وددتُ على طيبِ الحياةِ لو انه ... يُزاد لليلى عمرها من حياتيا
على مثل ليلى يقتلُ المرءُ نَفْسَهُ ... وإن كنتُ من ليلى على اليأس طاويا

وهو القائل :

عجبتُ لعروة العُذري أمسى ... أحاديثًا لقومٍ بعدَ قومِ
وعروةُ مات يومًا مستريحًا ... وهأنذا أموتُ بكلِّ يومِ

ويقول :

إذا صليْتُ يَمَّمْتُ نحوها ... بوجهي وإن كان المُصَلَّى ورائيا

وهو القائل :

وإني لأستغشي وما بي نعسةٌ ... لعلَّ خيالًا منك يلقى خياليا
إذا نحن أدلجنا وأنت أمامنا ... كفى لمطايانا بذكراك هاديا

ويقول :

وإني لمجنونٌ بليلى موكَّلٌ ... ولستُ عزُوفًا عن هواها ولا جَلدا
إذا ذُكِرتْ ليلى بكيتُ صبابةً ... لِتذْكارها حتى يَبُلَّ البكا الخدَّا

أمَّا جميل بُثينة ، فيقول :

يقولون جاهدْ يا جميلُ بغزوةٍ ... وأيُّ جهادٍ غيرهنُ أريدُ

وهو القائل :

أُصلي فأبكي في الصلاة لِذِكْرِها ... لي الويلُ ممَّا يكتبُ الملكانِ

وأمَّا العباس بن الأحنف فهو القائل :

وضعتُ خدِّي لأدنى مَنْ يُطيف بكم ... حتى احتُقِرتُ وما مثْلي بمُحتَقر

وهو القائل :

« سـيِّـدتي سـيِّـدتي إنـــه　　ليس لما بالعاشقيـن اكتتـامْ

سيّدتـــي سيّدتـــي إننـــي　　أعجزُ عن حَمْل البلايا العظامْ

سيّدتـــي سيّدتـــي فاسمعـــي　　دعوة ميتٍ عاشقٍ مُسْتَهَــامْ

ومرّ في أبيات كثيرة ؛ أوَّلُ كلِّ بيتٍ : سيّدتي سيّدتي ، فقال له أبو نواس : لقد خضعت لهذه المرأة خضوعًا ظننتُ معه أنك تموت قبل تمام هذه القصيدة[1] .

وعروة بن حزام وهو القائل :

بنا من جوى الأحزان في الصدر لَوْعةٌ　　تكادُ لها نَفْسُ الشَّفِيق تذوبُ

وإني لتَعْروني لذِكْراكِ هِـزَّةٌ　　لها بين جِلْدي والعظامِ دبيب

هـذا الذي قتله حبُّ ابنة عمته عفراء، فما زال يَنْحَل ويذوب حتى مات ... ومات وهو يُردِّد الشعر فيها :

جعلتُ لعرَّافِ اليمامةِ حُكْمَهُ　　وعرَّافِ نجد إن هُما شَفَيَاني

فما تركا من رُقْيَةٍ يَعْلَمانِها　　ولا سَلْـوةٍ إلَّا بها سَقَيَـاني

فقالا: شفاك الله والله ما لنا　　بما حملتْ منك الضلوعُ يَدَانِ

فكيف بِدَنيِّ همّةٍ يُحبُّ القَيْنات والمُمثِّلات والراقصات ، وكم أسَرْنَ من عِلْية القوم :

ألا يا عاشقَ القَيْناتِ جَهْلا　　أردتَ بأن تكون أبا البُغُولِ

والساقطات هؤلاء يصدُق فيهنَّ قول القائل :

فيا مَنْ ليس يُقْنِعُها مُحِبٌّ　　ولا أَلْفَا مُحِبٍّ كلَّ عـامِ

أظنُّكِ من بقيّةِ قومِ موسى　　فهم لا يصبرون على طعامِ

أتيتُ فؤادهـا أشكـو إليــه　　فلم أخْلُصْ إليه من الزِّحامِ

---

(١) ذم الهوى صـ ٤٢٠ .

وقول القائل :

الخانُ يعجزُ عن قومٍ إذا كثُروا لكنَّ قلْبك مثْل الخانِ أضعافُ
في كلِّ يومٍ له خمسون يعشقهم في كلِّ شهرٍ له ألْفٌ وآلافُ[1]

فإن كان هذا حال رؤوس القوم مع القيان والساقطات ، ممَّا يزكُم سيرتُه الأنوف .. فهل تقوم لهذه الأُمَّة قائمة وكبارُها يُقبِّلن أقدام الساقطات ؟! .

ممّا أضرَّ بأهلِ العِشْقِ أنَّهمُ هَووا وما عرفوا الدنيا ولا فَطَنُوا
تَفْنَى عيونهم دَمْعًا وأنفُسُهمْ في إثْر كلِّ قبيحٍ وجهُهُ حَسَنُ
تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكم كُلُّ ناجِيَةٍ فكلُّ بَيْنٍ عليَّ اليومَ مُؤْتَمَنُ
ما في هَوَادِجكم من مُهْجتي عِوَضٌ إنْ متُّ شوقًا ولا فيها لها ثمنُ
سَهِرتُ بعد رحيلي وَحْشَةً لكُمُ ثم استمرَّ مَريري وارْعَوَى الوَسَنُ

يا هذا أتبيت من العَزْم في شعار أُوَيْس ، فإذا أصبحت أخذتَ طريق قيس ؟! تنقُض عُرَى العزايم عُرْوَةً عروة ، وكلّ صريعٍ في الهوى رفيقُ عروة ، كم تدفن كثيرًا من الأعزَّة ، وما يرجع كثيرٌ عن حُبِّ عَزَّة .

جنونك مجنونٌ ولستَ بواجِدٍ طبيبًا يُداوي مِن جنونِ جنونِ

«والعشق الشَّهويُّ عبوديةٌ على عبوديةٍ، وذلَّة على ذلَّةٍ ، والبهيمة أحسنُ حالًا ممَّن ابتُلي به؛ لأنها إذا أسقطتِ الأذى عن نفسها بالسِّفادِ، سكنتْ فصارتْ إلى الراحة، وهو لم يرض بذلك حتى استعان بالعقل في خدمة الشهوة واستجلابها، ومن أثارَ شهوتهُ فهو كمن يُثير بهائم عادية وسباعًا ضارية .

قيل لبعض الحكماء : ما العشق ؟ قال : جنونٌ لا يُؤْجَر صاحبُهُ عليه . وسُئل آخر عنه فقال : نَفْسٌ فارغة لا هِمَّة لها . وقال غيره : هو سوءُ اختيار صادَفَ نَفْسًا فارغةً »[2] .

---

(١) الموشى للوشاء صـ ١٧٠ دار صادر .

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني صـ ٣١٦- ٣١٧ طبع دار الوفاء .

الثالث عشر : التعلق بغير الله :

ليس أضرّ على العبد من ذلك ، ولا أقْطع له عن مصالحه وسعادته منه ؛ فإنه إذا تعلَّق بغير الله ، وَكَلَهُ الله إلى ما تعلَّق به ، وخَذَلَه من جهة ما تعلَّق به ، وفاتهُ تحصيلُ مقصودهِ من الله عز وجل ، بتعلُّقه بغيره ، والتفاتِهِ إلى سواه ، فلا على نصيبه من الله حَصَل ، ولا إلى ما أمَّله ممن تعلَّق به وَصَل .

فأعظم الناس خذْلانًا من تعلَّق بغير الله ؛ فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه، أعظمُ ممَّا حصل له ممَّن تعلَّق به ، وهو معرَّض للزوال والفوات . ومثل المتعلّق بغير الله كمثل المستظِلِّ من الحرِّ والبرد ببيت العنكبوت ، أوْهَن البيوت[١] .

الرابع عشر : تعلق الهمة بالأكل :

لمَّا قال الحطيئةُ للزَّبرقان بن بدر حين ذَمَّه :

دَعِ المكارمَ لا ترْحلْ لبُغْيتها ... واقْعدْ فإنَّك أنْتَ الطَّاعمُ الكاسِي

ولمَّا سأل عمر بن الخطاب حسان بن ثابت : أهجاه ؟ قال : لا أقول هجاه بل سَلَحَ عليه . أي بال عليه .

وعالي الهمَّة رجل عظَّمه صِغَرُ الدنيا في عينيْهِ ، فيكون خارجًا من سلطان بطنِهِ فلا يشتهي ما لا يجد ، ولا يُكثر إذا وجَد ، وكبير الهمَّة لا يرضَى بالهمم الحيوانيَّة ، فلا يصير عَبْدَ عاريةِ بطنِهِ وفرجِهِ .

وعالي الهمَّة يتناول الأكل تناوُلَ مضطرٍّ عالمٍ بقذارة مآله ، ويتحقَّق أن نسبة الإنسان إلى الثمار والفواكه ، نِسْبة الجُعْل إلى الرَّوْث ، فلو نطقَ الشجرُ لَقال لك : أنت تأكلُ فُضالَتي كما يأكل الجعلُ فُضالتك ، والخنزير إذا استطاب لُفاظة الإنسان فما هو إلا كاسْتِطابَتنا لُفاظة الشجر . فألق يا إنسان عن مَناكبك الدِّثار ، وجَلِّ البصيرةَ واستعمل الاعتبار ، تجدْ صدْق ما قُلتُ .

---

(١) مدارج السالكين ١/٤٥٧- ٤٥٨ .

وامتلاء البطن مُقوٍّ للشهوة، وقوّة الشهوة داعية للهوى، والهوى أعظم جند الشيطان، ومن آثر هواه وانتشر في بدنه؛ حلَّ في كلِّ عضو منه جزء بقدر وسعه له، فكثُرَ جنود الشيطان، والشيطان إذا تسلَّط على الإنسان، سباه من ربِّه وصرفه عن بابه.

عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلاتٍ يُقمن صُلْبه، فإن كان لا محالةَ؛ فثُلثٌ لطعامه، وثُلثٌ لشرابه، وثُلثٌ لنَفَسه»[1].

ودنيء الهِمَّة وسافلها الأكول، ذمَّه ربُّه؛ فقال تعالى: ﴿ **ذرْهم يأكلوا ويتمتعوا ويُلههمُ الأملُ فسوف يعلمون**﴾ [الحجر: ٣]. وقال تعالى: ﴿**والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**﴾ [محمد: ١٢].

نصيب سافل الهمَّة متاعٌ وأكْلٌ كما تأكل الأنعام.. أكْلٌ حيوانيٌّ شَرِهٌ، ومتاعٌ حيوانيٌّ غليظ.. حيوانية تتحقَّق في المتاع والأكل، تحسب الحياة كلَّها مائدة طعام، وفرصة متاع.

ومن الدلالة على خِسَّة كثرة الأكل؛ ادِّعاء العامَّة الاستغناء بالقليل، وقلَّة وجود المفتخر بكثرة الأكل، وقد قيل: مَنْ كانت هِمَّتُه ما يدخل بطنَه ويأكله، فقيمته ما يُخرجه.

فإنك مهما تُعطِ بطنَك سُؤْلَهُ   وفرجَك نالا منتهى الذمِّ أجمعا[2]

«حَسْبُ ابنِ آدم لُقيْماتٍ يُقمنَ صُلْبَهُ..»، وقد قال ﷺ: «المؤمن

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وابن المبارك وابن سعد وابن عساكر، وصححه الألباني في الإرواء رقم (٢٠٤٣)، والسلسلة الصحيحة (٢٢٦٥)، وصحيح الجامع (٥٥٥٠).

(٢) ديوان حاتم الطائي - دار صادر - بيروت صـ ٦٨.

يأكل في مِعًى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء »[١] .

فنبَّه في الخبرين أنه لا يُستحبُّ للإنسان إلا الأكل في سُبع بطنه ، وهو ما ذكره من اللُّقَيْمات، وذلك دون عشر لُقيمات؛ لأن جمع القِلَّة بالألف والتاء لِمَا دون العشرة ، ثم رخَّص لمن غلب عليه النَّهَمُ أن يبلغ إلى ثُلُث بطنه ، وإن جاز له أن يشبع أحيانًا .

يا هذا ، كيف تُطيق السهر مع الشبع ؟ كيف تُزاحم أهل العزائم بمناكب الكسل !

إنَّ للحربِ رجالًا خُلقوا ورجالًا لقصعةٍ وثريدِ

يا غافل القلب ، ما هذا الكلام لك ؟ ليس على الخراب خراج ، لا يعرف البَرَّ إلا سائح ، ولا البحر إلا سابح ، ولا الزِّناد إلا قادح .

لمَّا عشقت اللبلابة الشجر تقلقلت طلبًا لاعتناق الرُّوس ، فقيل لها : مع الكثافة لا يُمكن ؛ فرضيتْ بالنحُول .

«سُئل سهلٌ التستري: الرجل يأكل في اليوم أكلةً؟ قال: أكْلُ الصِّدِّيقين. قال له : فأكلتيْن ؟ قال : أكل المؤمنين . قيل له : فثلاث أكلات ؟ فقال : قل لأهله يبنوا له معْلفًا »[٢] .

ولله درُّ القائل :

إذا المرء لم يتركْ طعامًا يحبُّهُ ولم يَنْهَ قلبًا غاويًا حيثُ يمَّما
قضىٰ وَطَرًا منهُ وغادَر سُبَّةً إذا ذُكرتْ أمثالها تملأ الفما[٣]

الخامس عشر : همَّة لا تتعدَّى اللِّباسَ والمظهر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تعِسَ عبدُ

---

(١) رواه البخاري وأحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر، وأحمد ومسلم عن جابر، وأحمد ومسلم والبخاري عن أبي هريرة ، ومسلم وابن ماجه عن أبي موسى .

(٢) الفوائد لابن القيم صـ ٢٣٦ .

(٣) ذمّ الهوى صـ ٣٣٠ .

الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ؛ إن أعطي رضيَ ، وإنْ لم يُعطَ سخِط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش . طوبى لعبدٍ آخِذ بعنان فَرَسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبَّرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في السَّاقَة كان في الساقة ، إن استأذن لم يُؤْذَن له ، وإن شفع لم يُشفع »[1] .

فانظر كيف جعله رسول الله ﷺ عبدًا للخميصة ؟! هل بعد هذا دناءة في همته ؟!

يا لاحِقًا بآبائه وأُمَّهاته، لا بدَّ أن يصير الطَّلا إلى مَهَاتِه، يا من جلَّ هِمَّته شغل خياطِه وطُهَاتِه ، يغلبه الهوى وهو غالب دُهَاتِه ، إن كان لك عذر في تفريطك فهاتِه.

يا هذا ، أفضل الملبوس : الحرير ، وهو صُنْع دودةٍ ، فبِمَ تفتخر ؟!

قال طاوس لعمر بن عبد العزيز : ما هذه مشية مَن في بطنه خراء !! إذْ رآه يتبختر ، وكان ذلك قبل خلافته .

هل نسي الذي ما تتجاوز همته ثيابه والمظهر ، هل نسي الرجيعَ في أمعائه ، والبول في مثانته ، والمخاط في أنفه ، والبزاقَ في فيه ، والوسخ في أذنيه ، والدم في عروقه ، والصديد تحت بشرته ، والصنان تحت إبطه؟! ولينظرِ الإنسان إلى أصله حتى يَفيق مِن سَكْرته .

السادس عشر : تعلُّقُ الهمَّة بالمَال والجاه :

الهمة السافلة إذا تعلَّقت بتمكين السلطان وولايته ، فهي مبنيَّة على أمر أشدّ غلَيانًا من القِدْر في تقلُّبه ، فإن تغيَّر كان أذلّ الخلْق . وهذه الهمة المتعلِّقة بالمال والجاه ، لو رأى صاحبها أن في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمُّل؛ لَأَفاق من سكرته. فأفٍّ لشَرفٍ يسبقك به اليهودي!! وأفٍّ لشرفٍ

---

(١) رواه البخاري وابن ماجه .

يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلًا مفلِسًا !!

أما ترى إلى فرعون وقوله : ﴿ **أليس لي ملْك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي....** ﴾[الزخرف : ٥١] ؟! ولسان الحقيقة يقول : يا هذا ، حمارك ينهق من كفِّ شَعير، ما تساوي مصرُ مِن جَناح البعوضة،ورسول الله ﷺ يقول: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء»؟![1].

والمال أخسُّ القُنْيات ، والمال خادم لغيره من القُنْيات ، وإن كان كثير من الناس لجهلهم يجعلون جاهَهم وأبدانهم ونفوسهم خدَمًا للمال وعبيدًا له ، وهم الذين ذمَّهم النبي ﷺ في قوله: «تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم». وقال تعالى : ﴿ **أيحسبون أنما نُمدُّهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ [المؤمنون : ٥٥-٥٦] .

صاحب الهمة الدنية التي لا تتجاوز همته المال ؛ لئيم صغير النفس ، يُؤْتَى المالَ فتسيطر نفسه به ، حتى ما يُطيق نفسه !! يروح يشعر أن المال هو القيمة العليا في الحياة، القيمة التي تهون أمامها جميعُ القيم وجميع الأقدار ؛ أقدار الناس ، وأقدار المعاني ، وأقدار الحقائق !! وأنه وقد ملك المال فقد ملك كراماتِ الناس وأقدارهم بلا حساب !! كما يروح يحسب أن هذا المال إله قادر على كلِّ شيء ، لا يعجز عن فعْل شيء ، ومن ثَمَّ ينطلق في هَوَس بهذا المال يَعدُّه ويَستلذّ تَعداده ، وتنطلق في كيانه نفخة فاجرة تدفعه إلى الاستهانة بأقدار الناس وكراماتهم ، فما أهبطه وألأَمَه حين يخلو من المروءة ويتعرَّى من الإيمان ؟!

وقبيح بالحُرِّ المترشِّح لنيْل الفضائل - وهو يأمل الوصول إلى الغنىٰ الأكبر - أن يتهافت على المال ويتناول أكثر ممَّا يحتاج إليه ، ويجعل نفسه أقلَّ رقيق له وأخسَّه،فرِقُّ ذوي الأطماع رقٌّ مُخلَّدٌ ، يكون معتكِفًا فيه على حجَر يعبده ، كما قال تعالى : ﴿ **يعكفون على أصنامٍ لهم** ﴾ [الأعراف : ١٣٨] .

(١) صحيح : رواه الترمذي والضياء عن سهل بن سعد .

قال رسول الله ﷺ : « يقول ابن آدم : مالي ، مالي . وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت، أو لبستَ فأبليتَ، أو تصدَّقتَ فأمضيت؟» (١) .

وقال ﷺ : « يقول العبد : مالي ، مالي . وإن له من ماله ثلاثًا : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فأقنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس » (٢) .

يا عُبيْدَ فِلْسِهِ يا عدوَّ نفسِهِ ، تُعانِقُ الدنيا بيد الحِرص عِناقَ اللام للألف ، وتُنزِل الدرهمَ من القلب ، منزلةَ البرْءِ من الدَّنِف ؟!

يا جامِعًا مانِعًا والدهرُ يرْمُقُهُ ... مقدِّرًا أيّ باب عنهُ يُغلقُهُ

جمعتَ مالًا فُقلْ لي : هل جمعتَ لَهُ ... يا غافلَ اللُّبِّ أيَّامًا تُفرِّقُهُ ؟

المالُ عنـدك مخزونٌ لوارثِــهِ ... ما المالُ مالُك إلا يومَ تُنفِقُهُ

في كل زمان ومكان تستهوي زينة المال والجاه بعض القلوب ، وتبهر الذين يريدون الحياة الدنيا ، ولا يتطلَّعون إلى ما هو أعلى وأكرم منها ، فلا يسألون بأي ثمن اشترى صاحب الزينة زينته ؟ ولا بأي الوسائل نال ما نال من عرَض الحياة ؟ من مال أو منصب أو جاه . ومن ثَمَّ تتهافت نفوسهم وتتهاوى كما يتهافت الذباب على الحَلوىٰ ويتهاوى ، ويَسيل لُعابُهم طَمَعًا فيما في أيدي المحظوظين من متاع ، غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الذي أدّوه ، ولا إلى الطريق الدَّنِس الذي خاضوه ، ولا إلى الوسيلة الخسيسة التي اتخذوها !!.

فأما عُلاةُ الهمَّـة المتصلون بالله ؛ فلهم ميزانٌ آخر يقيّم الحياة ، وفي نفوسهم قِيَمٌ أخرى غير قيم المال والزينة والمتاع ، وهم أعلى نفسًا ، وأكبر قلبًا من أن يتهاوَوْا ويتصاغروا أمام قيم الأرض جميعًا ، ولهم من استعلائهم بالله عاصِمٌ من التخاذُل أمام جاه العباد .

---

(١) رواه أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي عن عبد الله بن الشخير .

(٢) رواه أحمد ، ومسلم عن أبي هريرة .

ولله درُّ شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال للسلطان : مُلْكُك ومُلك مَلِك المغلّ ، لا يساوي عندي فِلسًا .

يا دنيء الهمة، أين قارون؟ أما هلكتْ في الزمان جديسُه وطَسْمُه؟![1] .

ولقد ذهب مَن كان وكان اسمُه ، فلا عينه تُرىٰ ولا رسمُه ، ولا جوهره يُحسُّ ولا جسمُه ، تبدَّد .. والله .. بالممات نظمُه ، ولحِق بالرفات عظمُه !!

السابع عشر : حبُّ الرَّاحة وكثْرة النَّوْم :

وكثرة النوم تميت القلب ، وتثقل البدن وتضيع الوقت ، وتورث كثرة الغفلة والكسل .

يا مشغولًا باللـذَّات الفانيات ، متى تستعدُّ لُمُلِمَّاتِ الممـات ؟! متى تستدرك هفوات الفوات ؟! أتطمع مع حبِّ الوسادات في لِحاق السادات ؟! وأنىٰ تجعلك مثلهم ؟ أنَّى وهيهات ؟!

لا يطمعَنَّ البطَّال في منازل الأبطال . إن لذَّة الراحة لا تُتَناول بالراحة . من زرع حصَد ، ومَن جَدَّ وجَد .

وكيف يُنالُ المجدُ والجسمُ وادِعٌ وكيف يُحازُ الحمدُ والحمد وافِرُ

رحلتْ رُفْقَةُ ﴿ تتجافى ﴾، ومطرودُ النوم في حَبْس الرقاد ، فما فكَّ عنه السجَّان قَيْدَ الكَرَىٰ حتى استقرَّ بالقوم المنزِل ، فقام يتلمَّح الآثار بباب الكوفة ، والأحباب قد وصلوا إلى الكعبة .

أفٍّ لك ، أما تأنف من بوْل الشيطان في أُذنيْك ؟! كيف ترضىٰ بأن يكون الشيطان حاديك: « عليك ليلٌ طويل فارقدْ». «ذاك رجلٌ بالَ الشيطان في أذنيْه » . إنه - والله - بوْل ثقيل !!

يا دنيء الهمة ، رياح الأسحار لا يشمُّها مزكومٌ غفلةً ، ولو شممت نسيم الأسحار لاستفاق منك قلبك المخمور .

---

(١) جديس وطَسْم : اسما قبيلتين انقرضوا قديمًا .

يا ثقيل النوم، يا بطيء اليقظة، أما يُنبِّهك الأذان؟! أمَا تُزعجك الحُداة؟! أترى نخاطب عَجمًا ، أو نكلم صُمًّا ؟! لا تكنْ دني الهمَّة كرجل :

عكفتْ عليهِ المُخزياتُ فما لهُ متأخَّرٌ عنها ولا مُتزحْزَحُ
وإذا رأى الشيطانُ غرَّة وجهِهِ حيًّا وقال: فديتُ مَن لا يفلحُ

خلَتْ والله الديار وباد القوم ، وارتحل أرباب السهر وبقي أهل النوم، واستبدل الزمان آكِلي الشهواتِ بأهل الصوْم !!

يا هذا ، لستَ والله منهم .. سل الليلَ عنِ الأحباب ؛ فعنده الخبر .

أترىٰ حبَّكُمْ لمَّا سرَىٰ أخذَ النومَ وأعطىٰ السهَرا
حبَّذا فيكَ حديثٌ باطِنٌ فطِنَ الدمعُ بهِ فانتشرا

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالدُّلْجة؛ فإن الأرض تُطوىٰ بالليل»[1].

وقال رسول الله ﷺ : « مَن خَاف أدْلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سِلْعةَ الله غالية ، ألا إنَّ سلعة الله الجنة »[2] .

يا كثيرَ النوم .. يا بعيدًا عن القوم .. تنبَّه ، أما تسمع الحادي ينادي في الدياجي : « عند الصباح يحمَدُ القومُ السُّرىٰ » .

الثامن عشر : الانحراف عن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة :

عدَّها من الأسباب شيخنا الذي أخرجنا بفضل الله ورحمته وربَّانا على الطاعة ، وأدخلنا في عداد الجماعة - الشيخ محمد إسماعيل - فيقول : « لا سيما مسألة القضاء والقدر ، وعدم تحقيق التوكُّل على الله سبحانه وتعالى ، وبدعة

---

(١) صحيح : رواه أبو داود ، والحاكم ، والبيهقي عن أنس ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٩٤٣)، والصحيحة رقم (٦٨١) .

(٢) صحيح : رواه الترمذي ، والحاكم عن أبي هريرة ، وعبد بن حميد ، والعقيلي في الضعفاء ، وأبو نعيم والقضاعي ، وأخرجه الحاكم عن أُبيّ ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٠٩٨) .

الإرجاء » .

«وفي باب التوكل يكثر اشتباه الدعاوى فيه بالحقائق، والعوارض بالمطالب، والآفات القاطعة بالأسباب الموصلة » .

يقول ابن القيم : « وكثيرًا ما يشتبه في هذا الباب ، المحمود الكامل بالمذموم الناقص ؛ فيشتبه التفويض بالإضاعة ، فيضيِّع العبد حظه ؛ ظنًّا منه أن ذلك تفويض وتوكُّل، وإنما هو تضييعٌ لا تفويض . فالتضييع في حق الله ، والتفويض في حقك .

ومنه : اشتباه التوكل بالراحة ، وإلقاء حمْل الكَلِّ ، فيظن صاحبه أنه متوكل ، وإنما هو عامل على عدم الراحة .

وعلامة ذلك أن المتوكِّل مجتهدٌ في الأسباب المأمور بها غاية الاجتهاد، مستريحٌ من غيرها لتعبه بها . والعامل على الراحة آخذٌ من الأمر مقدار ما تندفع به الضرورة وتسقط به مطالبة الشرع ؛ فهذا لون ، وهذا لون .

ومنه : اشتباه خلع الأسباب بتعطيلها ؛ فخلعها توحيد ، وتعطيلها إلحاد وزندقة . فخلْعُها : عدم اعتماد القلب عليها ، ووثوقه وركونه إليها مع قيامه بها . وتعطيلها إلغاؤها عن الجوارح .

ومنه : اشتباه الثقة بالله بالغرور والعجز . والفرق بينهما : أن الواثق بالله قد فعل ما أمره الله به ، ووثق بالله في طلوع ثمرته ، وتنميتها وتزكيتها، كغارس الشجرة وباذر الأرض ، والمغتر العاجز قد فرَّط فيما أُمِر به ، وزعم أنه واثق بالله ، والثقة إنما تصح بعد بذْل المجهود .

ومنه : اشتباه الطمأنينة إلى الله والسكون إليه بالطمأنينة إلى المعلوم وسكون القلب إليه ، ولا يميِّز بينهما إلا صاحب البصيرة ؛ كما يُذكر عن أبي سليمان الداراني : أنه رأى رجلا بمكة لا يتناول شيئًا إلا شربة من ماء زمزم ، فمضى عليه أيام . فقال له أبو سليمان يومًا : أرأيت لو غارت زمزم ، أي شيء كنت تشرب ؟ فقام وقبَّل رأسه ، وقال : جزاك الله خيرًا ، حيث

أرشدتني ، فإني كنت أعبد زمزم منذ أيام ثم تركه ومضى »[(١)] .

«أما الفهم للتوكُّل وترك الأسباب جملة والتواكل ، فهذا أبعد شيءٍ عن حال أولي التوكل حقًّا من الصحابة وسلف الأمة ، وأكمل المتوكِّلين بعدهم هو من اشتمَّ رائحةَ توكُّلهم من مسيرة بعيدة ، أو لِحقَ أثرًا من غبارهم ؛ فحالُ النبي ﷺ وحالُ أصحابه مَحَكُّ الأحوال وميزانها ، بها يُعْلم صحيحها من سقيمها . فإن هممهم كانت في التوكل أعلى من همم من بعدهم ؛ فإن توكُّلَهم كان في فتْح بصائر القلوب ، وأن يُعبد الله في جميع البلاد ، وإن يُوحِّده جميعُ العباد ، وأن تشرق شموس الدين الحق على قلوب العباد، فملئوا بذلك التوكُّل القلوب هدى وإيمانًا ، وفتحوا بلاد الكفر وجعلوها دار إيمان، وهبَّت رياحُ روح نسمات التوكُّل على قلوب أتباعهم فملأتها يقينًا وإيمانًا . فكانت همم الصحابة رضي الله عنهم أعلى وأجل من أن يصرف أحدُهم قوة توكُّله واعتماده على الله في شيءٍ ممَّا يحصُل بأدنىٰ حيلة وسعي ، فيجعله نِصب عينيه ، ويحمل عليه قوى توكُّله »[(٢)] .

« ولما انتشرت فكرة الجبر بين المسلمين في العصور المتأخرة ، عن طريق الطرق الزائغة والمتصوفة ؛ أضرَّت إضرارًا عظيمًا سيما مع ترْك الأسباب ، قال بعضهم :

جرىٰ قلمُ القضاءِ بما يكونُ   فسيّان التحرُّكُ والسكــونُ
جنونٌ منك أنْ تسْعىٰ لرزقٍ   ويُرزقُ في غيابتــه الجنين[(٣)]

ومن آثارها أن أصحابها تركوا الأعمال الصالحة الخيرة التي توصلهم إلى الجنة وتنجِّيهم من النار وارتكبوا كثيرًا من الموبقات بدعوىٰ أن القدر آتٍ ،

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٢٣- ١٢٤ .
(٢) مدارج السالكين ١٣٥/٢ .
(٣) شفاء العليل لابن القيم صـ ٥ .

وكلُّ ما قُدِّر للعبد سيصيبُه ؛ فلماذا العمل والتعب والنصب ؟!!

لقد ترك هؤلاء الأخذ بالأسباب ؛ فتركوا الصلاة والصيام ، كما تركوا الدعاء والاستعانة بالله والتوكُّل عليه ؛ لأنه لا فائدة منها ، فالذي يريده الله ماض قادم لا ينفع معه دعاء ولا عمل !! ورضي كثير من هؤلاء بظلم الظالمين وإفساد المفسدين ؛ لأن ما يفعلونه قدرُ الله وإرادته .

وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولم يهتموا بإقامة الحدود والقصاص ؛ لأن ما وقع من المفاسد والجرائم مقدرٌ لا مفرَّ منه »[١] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « فمن أثبت القدر واحتجَّ به على إبطال الأمر والنهي، فهو شرٌّ ممَّن أثبت الأمر والنهي ولم يثبت القدر »[٢] .

يقول ابن القيم في وصْف هذا المبتدع دني الهمة : « لو علم هذا الجاهل أنه هو القاعد على طريق مصالحه ، يقطعها عن الوصول إليه ، فهو الحجر في طريق الماء الذي به حياته ، وهو السَّكْر الذي قد سدَّ مجرىٰ الماء إلى بستان قلبه ، ويستغيث مع ذلك: العطش، العطش؛ وقد وقف في طريق الماء، ومنع وصوله إليه ، فهو حجاب قلبه عن سرِّ غيبه ، وهو الغيم المانع لإشراق شمس الهدى على القلب ، فما عليه أضرّ منه ، ولا له أعداء أبلغ في نكايته وعداوته منه .

ما تبلغ الأعداءُ من جاهلٍ ... ما يبلغُ الجاهلُ من نفسهِ

فتبًّا له ظالمًا في صورة مظلوم، وشاكيا والجناية منه، قد جدَّ في الإعراض وهو ينادي : طردوني ، وأبعدوني . ولّى ظهره الباب ، بل أغلقه على نفسه وأضاع مفاتيحه وكسرها ، ويقول :

دعاني وسدَّ الباب دوني فهل إلى ... دخولي سبيلٌ بيِّنوا لي قصَّتي

فيا ويله ظهيرًا للشيطان على ربِّه، خصمًا لله مع نفسه، جَبْري المعاصي،

---

(١) القضاء والقدر للشيخ عمر سليمان الأشقر صـ ٧٣ – دار النفائس بالكويت .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٨/١٠٠ .

قَدَرِيّ الطاعات ، عاجز الرأي ، مضياع لفرصته ، قاعد عن مصالحه ، معاتب لأقدار ربِّه ، يحتجُّ على ربِّه بما لا يقبله من عبده وامرأته وأَمَته إذا احتجُّوا به عليه في التهاون في بعض أمره ؛ فمن أولى بالظلم والجهل ممن هذه حاله ؟! »[1] .

وللسحر مملكة ونفوذ :

وانظر إلى دناءة الهمة .. والشرك الذي يقع فيه مَنْ يُديرون دفَّة الأمور في بلاد العرب، وكيف تسيطر «الساحرة العالمية»– «كريستين داجواي»– نائبة رئيس الاتحاد العالمي للروحانيين والفلكيين بباريس ، على مجاري الأمور ...... هذه الساحرة التي كان لها أكبر تأثير على الرئيس الفرنسي ميتران ، والأمريكي بوش، ورئيس وزراء بريطانيا جون ميجور، وكارلوس منعم، بل والملك حسين ، وأمير المؤمنين الملك الحسن ملك المغرب !! تقول هذه الساحرة الكافرة ، عن انتشار السحر بالمغرب ونفوذه الكامل على ملكه : « من أعجب أسرار مملكة السحر التي يديرها أحدُ الزعماء .. هي مملكة كاملة تحت الأرض عبارة عن مدينة كاملة.. في بلد عربي كبير.. يعيش فيها آلاف من السَّحرة العُتاة الأشداء، تقريبًا من يدخل هذه المملكة لا يخرج منها مرة أخرى إلى الحياة فوق سطح الأرض ، ويستمر يعمل بها حتى الموت .. هذه المملكة هي أقوى مملكة للسَّحرة موجودة في الكرة الأرضية، وتم تأسيسها منذ أكثر من ٥٠ عامًا، وهي تستخدم لتسيير دفَّة أمور الحُكْم والحياة اليومية في هذه الدولة . وأهم عمل يشغل السَّحرة في هذه المملكة الغامضة ؛ هو تأمين حياة زعيم هذه الدولة ، وانقاذه من تعرُّضه لأي خطر . وقد تمكن هؤلاء السحرة ذات يوم منذ حوالي ١٨ عامًا، من إنقاذ هذا الزعيم عندما قام وزير داخليته – في ذلك الوقت – بمؤامرة للقضاء على حياته بنسْف طائرته في الجو ، وتمَّ الاستعانة « بمملكة » السحر

(١) مدارج السالكين ١/١٩٢ .

لإزالة هذا الخطر بسرعة فائقة أدهشت العالمَ كلَّه في ذلك الوقت »[١] .

ثم بعد ذلك يريدون نصرًا على إسرائيل !!!

التاسع عشر : التأثُّر بالصوفية :

قال الشيخ محمد بن إسماعيل : « ومنها المناهج التربوية والتعليمية الهدَّامة التي تثبِّط الهمم، وتخنق المواهب، وتكبت الطاقات، وتخرب العقول، وتنشئ الخنوع، وتزرع في الأجيال ازدراء النفس، وتعمِّق فيها احتقار الذات، والشعور بالدونية ؛ كقول بعض الصوفية : « الفقير : هو الذي يأكله القمل ، ولا يكون له ظفر يَحُكُّ به نفسه » . وقولٍ ثانٍ : « الصوفي من يرى دمه هدرًا ، وملكه مباحًا». وقولٍ ثالث: «إنه ما سُرَّ في إسلامه إلا ثلاث مرات: كنتُ في سفينة، فلم أجد أحقر مني فيها، وكنت مريضًا في المسجد، فجرَّني المؤذن إلى خارجه، وكان عليَّ فرو فنظرت فيه، فلم أميِّز بين شعره وبين القمل من كثرته».

ومن ذلك : منهج بعض الصوفية في الإعراض عن علوم القرآن والسنة ، وترهيب مريديهم من طلب العلم الشرعي ؛ حتى سقط من كُمِّ أحدهم يومًا قلم كان يخفيه ؛ خشيةَ أن يُفتضح بينهم بطلب العلم ، فقال له شيخه : « اسْتُرْ عورتك ». يمنعون من سماع الحديث ، وهذا ينبئ عن باطنٍ خبيث. العلوم الشرعية عندهم حجاب ، والهذيان في علم الصوفية لباب »[٢][٣] .

العشرون : اضطهادُ العاملين للإسلام ، والشعور بالإحباط في النفوس التي لا تفقه حقيقة البلاء :

إن لله سننًا في خلقه وفي الدعوة ، ولا يُمَكَّن الرجل حتى يُبتلى ، وقد يستطيل قوم الطريق ، فيضعف السير إلى الله عز وجل ، وهم يرون الشَّر نافشًا

---

(١) أسرار أهل السياسة والفن مع السحر والجن ، لصابر شوكت صـ ١١٢ - الناشر مدبولي الصغير .

(٢) علو الهمة ٣٤١- ٣٤٢ .

(٣) مقامات ابن الجوزي صـ ٣٢١ - ٣٢٢ .

والخير ضاويًا ، ولا شعاعَ في الأفق ، ولا معلم في الطريق .. فأين وعد الله عز وجل : ﴿ **ولقد سبقتْ كَلِمَتُنا لعبادنا المرسلين إنَّهم لهُمُ المنصورون وإنَّ جندنا لهُمُ الغالبون** ﴾ [الصافات : ١٧١- ١٧٣] ، وقول الله عز وجل : ﴿ **وَعَدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليُمكنن لهم دينهمُ الذي ارتضىٰ لهم وليُبدِّلَنَّهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ [النور : ٥٥] .

وإني على ثقةٍ من طريقي ... إلى الله ربِّ السَّنا والشروقِ
فإن عاقني السير أو عقَّني ... فإني أمينٌ لعهدي الوثيـقِ
أخي ستبيد جيوش الظلام ... ويشرق في الكون فجرٌ جديدْ
فأطْلِـقْ لـروْحِك إشراقَهـا ... تَرَ الفجر يرمقُنا من بعيدْ

يقول محمد عواد رحمه الله ، وتقبَّله الله في عداد الشهداء :

لماذا رهبتَ نزال الرجـال ... وأنتَ المحنَّكُ والحاذقُ
لـماذا ذرفتَ دمـوع الخنـوعِ ... وأنت المبــرَّزُ والسابــقُ
لماذا سلكتَ دروب الظلامِ ... ودَرْبُك في نـوره يفـرقُ
لماذا ركنتَ لدنيا الـزوالِ ... تُرقِّـعُ فيمـا غـدًا يُخْـرَقُ
فكُنْ يا أخي زفرةً تَحْرِقُ ... وكن يا أخي لفحةً تصْعَقُ
فكُنْ فيهمُ مثلَ ليثٍ هصور ... يغيـرُ ويمرقُ لا يفــرق
أتخشىٰ الرجالَ وفقْرَ العيالِ ... فربُّ العيالِ هـو الـرازقُ
وعُمْرك رهنٌ لموتٍ قريبٍ ... فإن جاء في حينهِ تَزْهَقُ
يساقُ الجبانُ لـذلِّ الهوانِ ... وسَيْفُ الصغارِ لَهُ سائـقُ
ومَن يمنعِ النَّفسَ جُبْنًا وخَوفًا ... يُمتْـه المنون ولا يُشْفِـقُ
فلوْ صدقوا الله أو صدَّقوا ... بقــرآن ربِّك أو طبَّقــوا
لنالوا الثريَّـا وقـدرًا عليَّــا ... وخيرًا سخيًّا بهمْ يُغـدَق

ولو رجعوا اليومَ ثم استنابوا   لبرُّوا الجميع وما أخفقُوا[1]

إن لله سُنَّةً سوف تمضي   فاملئوا الأرض ضَجَّةً واحتجاجًا

أَوْقِفُوا الفجرَ إنْ قدرتم وصدُّوا الشـــــمس أن ترسل السَّنا الوهَّاجا

وامنعوا الزهرَ أن يفوحَ شذاه   وامنعوا البحرَ يقذفُ الأمواجا

المسلمون قادمون :

لَنْ تُطفئوا شمسَ الضّحىٰ .. بنفخةٍ .. يا جاهلون

لن تَهْزموا جنودَ ربِّي .. إن جندَ الله دَوْمًا غالبون

فالفجرُ لاحْ

والديكُ صاحْ

والعطرُ – عطرُ الحقِّ – فاح

والنهارُ قادم .. والمسلمون قادمونْ

فقل لأنصارِ الظلام : ما لكم لا تعقلون

مَنْ ذا يُؤَخِّر النهارَ ؟

مَنْ يُصارع الأَقْدارَ

مَنْ يُعاندُ القَهَّارَ ؟

مَنْ يُناطحُ المريخ ؟

من يوقِّفُ التاريخ ؟

ليعلموا عِلْمَ اليقين .. إننا لقادمون

أَجَلْ أَجَلْ المسلمون قادمون

نَعَمْ نَعَمْ

---

(١) محمد عواد الشاعر الشهيد لجابر رزق صـ ٥٢- ٥٤ من قصيدة مصارحة – الوفاء للطباعة والنشر .

أنا شمسٌ ليس تُطْفا بهبـوبِ العاصفـاتِ
ذاك سِرِّي يا زماني فليمُتْ غيظًا عـداتي[(١)]

الحادي والعشرون: التقليد الأعمى، والتبعيَّة المطلقة للغرب والتمسُّح بأعتابه :

لله درُّ القرضاوي وهو يقول :

من كان للغرب عبدَ الفكرِ خاضعَهُ فليسَ منَّا ولسنا منه في نسبِ

ولله درُّه وهو يقول عن الغرب :

كيف نرجو من السجين معينا وهو في القيد ينشُدُ الإفراجا
سُبُل الغربِ كلُّها جُحْرُ ضبٍّ وسبيلُ الإسلام كانت فجاجا

ألف مُبْكيةٍ ومُبْكية :

أميرُ دولةٍ عربية يدفع ٤ مليون دولار لحديقة حيوان بريطانيا ؛ شفقةً منه على حيوانات حديقة الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس .. فهلَّا أنزلوا أطفال البوسنة منزلة حيوانات بريطانيا ؟!!

وانظر إلى مطربة الجنس الأولى في إسرائيل ، والرمز والمثل الأعلى للشواذ في إسرائيل ، وما يقوله محمد الغيطي في كتابه : « إن صديقًا لي من إحدى الدول الخليجية أول شيء سألني عنه وأنا أستقبله في المطار : هل وصل عندكم شريط دانا ؟! وكنتُ لم أعرف اسمها المزدوج ، فقلت له : من هي دانا ؟ فقال لي : أنتم متأخرون جدًّا، إنها المطربة الأُولى المفضَّلة لدىٰ الشباب الآن !!.. وهي بلا شك تحظىٰ على تقدير واحترام زعماء وقادة إسرائيل ؛ لأنها استطاعت في مدة قصيرة جدًّا – لا تتجاوز العام – السيطرة على آذان ما لا يقل عن عشرين مليونًا من الشباب العربي يحفظون أغانيها في المنطقة العربية كلها »[(٢)] .

---

(١) من ديوان المسلمون قادمون للقرضاوي، بتصرف – دار الوفاء .

(٢) فضيحة اسمها سعيدة سلطان لمحمد الغيطي، صـ١٢، ١٣، ١٥– الناشر عماد ناصف .

ويقول عن أشرطة أغانيها: «إن النسخة الواحدة وصل سعرها لخمسين جنيهًا ، وحسب منفذ توزيع سِرِّي لهذه الأغاني في العتبة ، يقول : إنَّ الشركة التي أعطته « أول طرحة » من الشريط الأول - حسب قوله - طبعت منه في مرة واحدة خمسة مليون نسخة .. أيَّة دائرة جهنمية ، يحرِّك خيوطها أبناء إبليس ؟! »[1] .

« في مصر رسميًّا أكثر من ٢٥٠ ألف راقصة ، والاشتراك السنوي لبعض النوادي الرياضية بلغ ٢٥ ألف جنيه، وإحدى شركات السيراميك طرحت مؤخرًا بانيو للحمام ثمنه ١١٥ ألف جنيه ، وهناك مئات اشتروا هذا البانيو !!

ولمبة جاز على الطراز القديم مصنوعة من بنورة أوبالين ثمنها ٢٣ ألف جنيه ، اللمبة تُستخدم كديكور فقط ، وثمن وجبة عشاء بعض فنادق الخمس نجوم وصل ١٥٠٠ جنيه فقط !!

وفي سويسرا أُعلِن عن أسماء مائة أغنى رجل في العالم منهم ثلاثة من مصر.

وفي مصر ٥٠ فردًا تبلغ ثروة كل واحد منهم ما بين مائة مليون دولار إلى ٢٠٠ مليون دولار أي حوالي ٧٠٠ مليون جنيه ، ومائة فرد تتراوح ثروة كل منهم ما بين ٨٠ ومائة مليون دولار ، و ١٥٠ فرد تتراوح ثروة كل منهم ما بين ٥٠ : ٨٠ مليون دولار ، و ٢٢٠ فرد ثروة كل منهم ما بين ٣٠ : ١٥ مليون دولار و ٣٥٠ فرد تتراوح ثروة كل منهم ما بين ١٥ : ٣٠ مليون دولار ، و ٢٨٠٠ فرد ثروة كل منهم ما بين ١٠ : ١٥ مليون دولار ، وفي مصر أيضًا ٧٠ ألف فرد تتراوح ثروة كل منهم ما بين ٥ : ١٠ مليون دولار ، على مسئولية الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل بالإشارة إلى تقرير أعدَّه خبراء من عدد من الدول .

---

(١) فضيحة اسمها سعيدة سلطان لمحمد الغيطي، صـ ١٢، ١٣، ١٥ - الناشر عماد ناصف .

وفي مصر ٤٠٠٠ مطعم للأثرياء فقط، وأحد بيوت التجميل المعروفة، والذي تمتلكه سيدة ، يحصل على عشرة آلاف جنيه في الشهر من مئات السيدات ؛ معظم السيدات راقصات أو فنانات أو زوجات مليونيرات »[١] .

« وشارع الهرم هذا الشارع الذي وصفه مسئول عربي كبير يومًا – بشكل عَفْوي– وهو يلقي خطبة قائلًا: «إن شارع الهرم هو وطننا الثاني»[٢].

وهنا في مصر أكثر من ٥٠ شقة باعها الملياردير المصري المعروف صاحب الشركات الضخمة (أ . ك) ، قيمة الشقة ١٥ مليون دولار ، أي ما يعادل ٥٠ مليون جنيه مصري ؛ الشقة مساحتها أكثر من ألف متر ، مجهزة بحمام سباحة وبار ، أكثر من عشر غرف نوم وثلاث حمامات .. حمام خاص بالسَّوْنا ، مكان خاص بالسيارة داخل الشقة !!

١٥ مليون دولار ثمن الشقة التي أسموها سوبر كلاس لماذا ؟! قالوا : لأن البرج الموجود به أسانسير خاصٌّ بالسيارة ، تستطيع أن تدخل بالسيارة حتى داخل شقتك !! وأيضًا هناك مهبط للطائرات أعلى البرج ، وحمَّامات سباحة أعلى وأسفل البرج ، ودوائر تلفزيونية مُجهَّزة بكاميرات دقيقة ووسائل تأمين وأقمار صناعية وجهاز كمبيوتر يتحكَّم في كل شيء بالشقة بدايةً من فتحها وحتى سيفون الحمام »[٣] .

« واحتلت مصر في هذا الزمن المرتبة الأولى في العالم استيرادًا للسيارة المرسيدس رسميًّا عام ١٩٩٤ ، في حين أنها كانت الدولة رقم ١٧ في استيراد هذه السيارة عام ١٩٨٣ ، ثم جاءت السيارة الشَّبح لسرعتها الفائقة ، ثم البودرة وثمنها مليون و ٤٠٠ ألف جنيه وأول مُلَّاكها الراقصة الشهيرة .

---

(١) زمن فيفي عبده صـ ١٩– ٢٠ .
(٢) المصدر السابق صـ ٢٣ .
(٣) المصدر السابق ٦٥ – ٦٨ .

وفي مصر ٥٠٠ سيارة شبح ، ثمن السيارة الواحدة ٨٠٠ ألف جنيه .

وفي مصر ١٥ سيارة «مرسيدس ٦٠٠» والتي يُطلق عليها : البودرة .

وهناك ٥١٥ فردًا اشتروا ٥١٥ سيارة قيمتها ٤٢٢ مليون جنيه »(١) .

قال رسول الله ﷺ : « تكون إبل للشياطين ، وبيوت للشياطين ؛ فأما إبل الشياطين فقد رأيتها : يخرج أحدكم بجنيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيرًا منها، ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله. وأما بيوت الشياطين فلم أرها»(٢).

قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٨/١) : « والظاهر أنه ﷺ عنى بـ « بيوت الشياطين » : هذه السيارات الفخمة ، التي يركبها بعض الناس مفاخرةً ومباهاة ، وإذا مَرُّوا ببعض المحتاجين إلى الركوب لم يُرْكِبوهم ، ويرون أن إركابهم يتنافى مع كبريائهم وغطرستهم » .

زفاف أسطوري لقطَّة يتكلَّف ١٢٠ ألف دولار !! :

وصلت «بلوى» العروس الجميلة لحفل زفافها أمس بطائرة هليكوبتر بينما وصل « فيت » عريسها سعيد الحظ بسيارة رولزرويس ، وسط دقّ الطبول وقرْع الأجراس. ولم تكن العروس سوى القطة المدلَّلة لـ «فيتشاران تشاراشارتشا» صاحب شركة ميراكل انترناشيونال لاستيراد مستحضرات التجميل الأوروبية .

ومن أجل عيون «بلوى» التي كانت فألًا حسنًا على أعماله؛ أخذ «فيتشاران» يبحث عن العريس المناسب ، حتى عثر على « فيت » وأقام لهما حفل زفاف يحلم به كثيرٌ من أبناء البشر ، تكلَّف ١٢٠ ألف دولار !!(٣) .

الكلاب أغلى وأرفع من الإنسان :

« وفي مصر عيادات بيطرية خاصة لعلاج الكلاب ، معظمها في المناطق

---

(١) زمن فيفي عبده ٥٧– ٦٠ .

(٢) حسن : رواه أبو داود ، وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٩٣ .

(٣) من جريدة أخبار اليوم ١٩٩٦/١٠/٦ ، الصفحة الثانية .

الراقية وأهمها المهندسين والزمالك ومصر الجديدة ، ولكن الأكثر غرابة أن تقام إحدى هذه المستشفيات وتحمل اسم « مستشفى الشعب » إمعانًا في السخرية من شعبنا الطَّيِّب المطحون .

أمَّا هذا المستشفى فهو مستشفى راقٍ ، توجد به غرفة عمليات مجهَّزة تمامًا ومكيَّفة ، واستقبال وغرفة كشْف وأطباء وممرضات .. وعادة ما يمكث الكلب المريض - شفاه الله ، وشفى أصحابه - في المستشفى عدَّة أيام لا سيما بعد العمليات الجراحية للراحة ، ولذلك تمَّ إقامة فندق متكامل للكلاب معظمهم من المرضى الذين يقضون فترة نقاهة .. هذا الفندق تمَّ بناؤه على أحدث طراز ليُناسب أولاد الكلاب !! وهو مكيَّف بالكامل !! وتوجد به أَسِرَّة صُنعت خصِّيصًا لراحة الكلاب ، وأجهزة تسلية ، وجهاز تلفيزيون في كل غرفة !! الشيء الوحيد الذي تخلو منه الغُرف هو التليفون الذي لا يُناسب الهوهوة !!!

وإمعانًا في الراحة تمَّ إنشاء كوافير للكلاب مُلْحَق بالفندق .. وفيه أشهر الكوافيرات ، لديهم ابتكارات يومية في أحدث القصَّات سواء بالنسبة للكلب الذكر أو بالنسبة للكلبة الأنثى ، كما يوجد بداخل هذه الكوافيرات حمام زيت واستشوار ومقاعد مجهزة على مقاس الإخوة الكلاب !! وطبعًا كل هذه الأمور تُضاف على فاتورة الحساب ، الذي يكفي ثمنها لعلاج ألف مريض من أولاد الغلابة !!

أما فُسَح الكلاب فهي لا تختلف كثيرًا عن فُسَح أصحابهم ، فهم يصطحبون كلابهم معهم في كل مكان ، في النوادي ، في الفنادق الخمس نجوم ، في دور السينما ، في المصايف »[1] .

---

(١) زمن فيفي عبده صـ ٤٨ - ٥٠ .

مماتُ الكلاب أيضًا فايف ستارز Fivestars :

« وإذا كانت حياة الكلاب في مصر بهذه الصورة ، والتي تؤكّد الإحصائيات غير الرسمية أن عددهم وصل أكثر من مليون كلب .. فكان لابد من أن يكون مماتهم أيضًا فايف ستارز ، أي خمس نجوم . ولذلك فقد تم إنشاء مقبرة مُكيَّفة لأولاد الكلاب داخل نادي الجزيرة .. وتستطيع أن تشاهد هذه المقبرة وهي غارقة وسط الزهور الجميلة والورود المتناثرة في كل مكان ، وتستطيع أن تذهب إلى هذه المقابر في أحد يومي الجمعة أو الأحد ، لتشاهد سوزي ولولو وميمي وجي جي ، وهم يبكون بحرقة ولوعة وأسى ومرارة على حياة الكلب سولي أو الكلبة لولي ، وهم ينثرون الورود على قبورهم الطيبة!!

أما عن جنازة الكلب فهي جنازة مهيبة ؛ حيث تقف السيارة الفارهة وعادة ما تكون مرسيدس سوداء .. لماذا ؟ لا أدري !! وينزل جثمان الكلب الفقيد ملفوفًا في حرير عادة يكون أخضر أو أحمر قرمزي .. ووسط جنازة مهيبة .. ودموع وبكاء .. يا حبيبي يا لولو .. ياماي لاف ... « إمبو سيبل لولي إذ دايت .. أو مامي ..بوجي مات !! » .

ولا تتعجب إن وجدت فتاة تُهدِّد بالانتحار بعد وفاة كلبها الصغير!ثم يتم دفن الكلب في مقبرة أنيقة ثم توضع الورود والرياحين فوق قبره ، وتعزف الموسيقى الهادئة وليست الجنائزية .. ثم ينصرف المُعَزُّون في ركْبٍ حزين . وعلى فكرة كل هذه الأحداث الحزينة والذكريات المؤلمة يتم تصويرها بالفيديو »[1] .

ولا تزال بقلبي ألف مبكية :

يقول عماد ناصف في كتابه « زمن فيفي عبده » : « في جولة مع كلاب

(١) المصدر السابق صـ ٤٩ – ٥٢ .

الأثرياء ، ستتمنى أنا وأنت أن نصبح مثل الكلب سوسو أو الكلبة لولو !! عياذًا بالله .

ونبدأ من أسعار الكلاب ، حيث يبدأ سعر أقل كلب - ذو السلالة غير المكتملة أو المعروفة - من ٢٠٠ جنيه للكلب ويصل في الأنواع الأخرى إلى خمسة آلاف جنيه . أما عن أَكْل الكلاب ؛ فهو يبدأ من عظام الضَّأن ، والتي تتراوح الثلاث وجبات اليومية له بين سبعة جنيهات إلى عشرين جنيهًا ، إلى الكباب والذي يصل ثمن الوجبات الثلاثة في اليوم للكلب الواحد إلى ٢٠٠ جنيه .

أمَّا ملابس الكلاب فتنتشر محلَّاتُها الشهيرة في منطقتي مصر الجديدة والمهندسين ، وهي عادة تكون بربتوز أو فستان أو برنيطة أو فيونكه أو شريط حلية ، ويتراوح ثمن كسوة الكلب الذكر من ٧٥ جنيهًا إلى ١٥٠ جنيهًا ، أما الكلبة يرتفع الحد الأقصى إلى ٢٠٠ جنيه ، بخلاف الإكسسوارات الجلد والخَرَز التي تُستخدم كحلية . وفي بعض الأحيان تصل برنيطة الكلاب إلى ١٢٠ جنيه وفستان الكلبة إلى ١٥٠ جنيه ، وتستطيع أن تشاهد أمام أحد هذه المحلات الشهيرة بملابس الكلاب ، عشراتٍ من هذه النوعية من الكلاب وأبنائهن »[1] .

زواج كلاب الأثرياء دنيئي الهمم :

« أما الزواج فهي أهم مرحلة بالنسبة للكلبة والكلب ولأصحابهم أيضًا فلا بد أن يتم التوصل إلى سلالة الكلب وهل تناسب عائلة الكلبة أم لا .. ويتم عمل فرح أسطوري يُدعىٰ فيه كل أصدقاء الكلب والكلبة وطبعًا أصدقاء أصحابهم .. ويتم عمل فرح كامل ، وفستان زفاف مقاس الآنسة الكلبة ، وبدلة شيك مقاس الكلب باشا ، وكذلك الأمر في أعياد الميلاد والسبوع !!

(١) المصدر السابق صـ ٤٧ .

ملحوظة : كل حرف كُتب في السطور الماضية يحدث يوميًّا في الواقع، وقد كتبته بلا أدنى مبالغة »[١] .

وإن تعجب فلا تعجب ، فنحن في زمن فيفي عبده !! أقسم بالله لو أن قوم لوط خرجوا إلى دار الدنيا ما زاد صنيعهم فوق هذا ، إن لم يكن دونه بمراحل !!

« مَثَل هؤلاء النسوة الأعلى « مادونا » الشاذة في أبشع صور الشذوذ عند المرأة .. مادونا التي يعشقها الآلاف المؤلفة من نساء العرب ، والتي تقول : « إن سعادتي الوحيدة وأنا مع كلبي ، « بابيتو » أو « سكر » ، فهو الذي يعوِّضني عن كل رجال العالم ، ونجح فيما لم ينجح فيه أي رجل ؛ لأنني أمارس حياتي ورغباتي ، حتى الجنسية منها ، بحرية تامَّة » . أرأيتم يا معشر الرجال المهووسين بمفجِّرة ثورة الجنس في العالم .. إن كلبها أفضل منكم جميعًا »[٢] .

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : « من اقتنىٰ كلبًا ، إلا كلب ماشية أو ضاريا ؛ نقص من عمله كلَّ يوم قيراطان »[٣] .

وقال ﷺ : « من اقتنىٰ كلبًا ، ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض ؛ فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم »[٤] .

وقال ﷺ : « من اقتنىٰ كلبًا ، لا يغني عنه زرعًا ولا ضرعًا ؛ نقص من عمله كلَّ يوم قيراط »[٥] .

يا ابنة الإسلام ، احْذريهم :

هذه نقطة من بحرٍ يطفح بفجورهم وفجورهن، فاحْذريهم يا ابنة الإسلام.

---

(١) المصدر السابق صـ ٥٢ .

(٢) الإيدز والفنانات لمحمد الغيطي صـ ١٠٥ – الناشر ثري إم للصحافة والنشر .

(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر .

(٤) رواه مسلم والترمذي والنسائي عن أبي هريرة .

(٥) رواه أحمد والبخاري ومسلم ، والنسائي وابن ماجه عن سفيان بن أبي زهير .

يا دُرَّة حُفِظَتْ بالأمس غاليةً ... واليوم يبغونها للَّهو واللعبِ
يا دُرَّةً قد أرادوا جَعْلها أَمَةً ... غربيَّة العقل لكن اسمها عربي
هل يستوي مَنْ رسولُ الله قائده ... دَوْمًا وآخرُ هاديه أبو لهبِ
وأين مَنْ كانت الزهراءُ أُسوتَها ... ممَّن تقفَّتْ خطى حمَّالةَ الحطبِ
فلتحْذَري مِن دُعاةٍ لا ضميرَ لهم ... مِن كلِّ مُسْتغرِبٍ في فِكْرِهِ خَرِبِ
أسْمَوْا دعارَتهم حُريَّةً كَذِبًا ... باعوا الخلاعة باسم الفنِّ والطَّربِ
هُمُ الذِّئابُ وأنتِ الشاة فاحتَرسي ... من كل مفترسٍ للْعِرْض مُستَلِبِ
أختاهُ لَسْتِ بنَبْتٍ لا جُذُورَ لهُ ... ولَسْتِ مَقْطوعةً مجهولةَ النَّسَبِ
أنت ابنة العُرب والإسلام عشتِ به ... في حضْنِ أطهر أمٍّ من أعزِّ أب
فلا تُبالي بما يُلقونَ مِنْ شُبَهٍ ... وعندكِ العقلُ إن تدعيه يسْتَجبِ
سليه مَنْ أنا ما أهلي لمنْ نَسبي ... للغربِ أم أنا للإسلام والعربِ
لمن ولائي لمن حُبِّي لِمنْ عملي ... لله أم لدعاة الإثم والكذبِ
وما مكاني في دنيا تموجُ بنا ... في موضع الرأس أم في موضع الذَّنَبِ
هما سبيلانِ يا أختاهُ ما لهما ... من ثالثٍ فاكسبي خيرًا أو اكتسبي
سبيلُ ربِّك والقرآنُ منهجه ... نورٌ من الله لم يُحْجب ولم يغبِ
في رَكْبه شَرَفُ الدنيا وعزَّتُها ... ويوم نُبعثُ فيه خيرُ مُنْقلبِ
فإنْ أَبيْتِ سبيلَ الله فاتَّخذي ... سبيل إبليس رأس الشَّر والحَرَبِ[1]

الثاني والعشرون : الرِّيَاءُ وعدم تجرُّد النيَّة :

قال العلامة ابن قيم الجوزية : « لِقاح الهمة العالية : النية الصالحة ، فإذا اجتمعا، بلغ العبد غاية المراد »[2] .

---

(١) «إليك يا ابنة الإسلام» للقرضاوي صـ٣٩- ٤٣ من ديوان «المسلمون قادمون » - الوفاء للطباعة والنشر .

(٢) الفوائد صـ ٢٦١ .

اعلم – رحمك الله – أن العزْم مجرَّدُ فضل الله وإيثاره وتوفيقه . « وإن العزائم لم تُورِث أربابها ميراثًا أكرم مِن وقوفهم على عِلَل العزائم ، ومدار علل العزائم على ثلاثة أشياء :

أحدها : فُتورها وضعْفها .

الثاني : عدمُ تجرُّدها من الأغراض وشوائب الحظوظ .

والثالث : رؤية العزائم وشهودها ، ونسبتها إلى أنفسهم .

فإذا عرف هذه الثلاثة عرف علل العزائم »[١] .

والرياء يُغلُّ القلب ويُضعف سيْره إلى الله عز وجل ، فما ظنُّك بالهمة بعد ذلك ؟!

الثالث والعشرون : كَذِب العزيمة وتردُّدها :

عزيمة الصدق تمنع العبد من ضعف الإرادة والهمَّة؛ والصدق في العزيمة: جمْعها وجزْمها وعدم التردُّد فيها، بل تكون عزيمة لا يشوبها تردُّد ولا تلوُّمٌ .

الرابع والعشرون : ضعْف العقل :

قال ابن الجوزي: « العقل غريزة ، كأنها نور يُقذَف في القلب فيستعدُّ لإدراك الأشياء ، فيعلم جواز الجائزات ، واستحالة المستحيلات ، ويتلمّح عواقب الأمور . وذلك النور يقلُّ ويكثر ، وإذا قوي ذلك النور قمع – بملاحظة العواقب–عاجل الهوى .

قال وهب بن منبّه : ولَإزالةُ الجبل صخرةً صخرةً وحجَرًا حجَرًا ؛ أخفُّ على الشيطان من مكابدة المؤمن العاقل ، فإذا لم يقدر عليه تحوَّل إلى الجاهل فيستأسره ويستمكن من قياده ، حتى يُسلمه إلى الفضائح التي يتعجَّل بها في الدنيا؛الجلْد والحلْق وتسخيم الوجْه ، والقطع والرجْم والصَّلْب ، وإنَّ الرجليْن

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٦٣– ٣٦٤ .

يستويان في أعمال البرِّ ، ويكون بينهما كما بين المشرق والمغرب أو أبعد ، إذا كان أحدهما أعقل من الآخر ، وما عُبِد الله بشيء أفضل من العقل .

وقال الحسن : ما يتمُّ دين الرجل حتى يتمَّ عقله ، وما أودع الله امرأً عقلًا إلا استنقذه به يومًا .

وقيل لعطاء بن أبي رباح : ما أفضل ما أُعطي الإنسان ؟ قال : العقلُ عنِ الله تعالى .

وقال معاوية بن قرَّة : إن القوم لَيحجُّون ويعتمرون ويجاهدون ويُصلُّون ويصومون ، وما يُعطوْن يوم القيامة إلا على قدر عقولهم .

وقال يوسف بن أسباط: العقل سراجُ ما بطَنَ، وملاكُ ما علَن، وسائسُ الجسد ، وزينة كلِّ أحد ، ولا تصلح الحياة إلا به ، ولا تدور الأمور إلا عليه .

وسُئل ابن المبارك : ما خير ما أعطي الرجل ؟ قال : غريزة عقل .

قال ابن الجوزي : إنما تتبيَّن فضيلةُ الشيء بثمرته وفائدته ، وقد عُرفتْ ثمرةُ العقل وفائدته ؛ حثَّ على الفضائل ونهى عن الرذائل ، وشدَّ أسْرَ الحزْم وقوَّى أزْر العزْم ، واستجلب ما يزين ونفى ما يَشين ، فإذا ترك وسلطانه أسر فضول الهوى ، فحصرها في حبس المنْع . وكفى بهذه الأوصاف فضيلةً .

ولا ينبغي أن يُدال الهوى عليه؛ فإنه عدوُّه، فيحطُّه عن رتبته، ويستنزله عن درجته ، ولا يجوز أن يُجعل - وهو الحاكم عليه - محكومًا ، ولا أن يصير - وهو الزمام - مزمومًا ، ولا أن يعود - وهو المتبوع - تابعًا . فمَن صبر على مضيض مشاورته ؛ اجتنى حلاوة المنى في عواقبه »[(١)] .

الخامس والعشرون : ضعْفُ البصيرة :

والبصيرة نور في القلب ، يُبصر به الوعدَ والوعيدَ ، والجنة والنار . وضعيف البصيرة مَن لا يستكمل درجاتها ، ويكون عنده :

---

(١) ذمّ الهوى لابن الجوزي . بتصرف صـ ٨ - ١١ .

١ - ضعف بصيرة في الأسماء والصفات : فيتأثَّر إيمانه بشبهة تعارض ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ، ولا يعلم فساد الشبَه المخالفة لحقيقة النصوص القرآنية والنبوية ، بل وتتمكَّن الشبه الباطلة من قلوبهم .

٢- وضعْف بصيرة في الأمر والنهي: فيعارضه بتأويل وتقليد وهوى، ويقوم بقلبه تعارض العلم بأمر الله ونهيه، وشهوة تمنع من تنفيذه وامتثاله والأخذ به.

٣ - وضعف بصيرة في الوعد والوعيد .

السادس والعشرون : طُولُ الأَمَلِ :

قال الله تعالى: ﴿**ذَرْهُمْ يأكُلُوا ويَتمتَّعُوا ويُلْهِهِمُ الأَمَلُ فسوفَ يَعْلَمونَ**﴾

[الحجر : ٣] .

وقال علي رضي الله عنه: «إن أخوف ما أخاف عليكم: اتِّباع الهوى وطول الأمل؛ فأما اتباع الهوى: فيصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل: فيُنسي الآخرة»(١) .

وجاء في الأثر : « أربعة من الشقاء : جُمود العيْن ، وقسوة القلب ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا » .

«ويتولّد من طُول الأمل : الكسل عن الطاعة ، والتسويف بالتوبة ، والرغبة في الدنيا ، والنسيان للآخرة ، والقسوة في القلب ؛ لأن رقته وصفاءه إنما يقع بتذكير الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال القيامة ، كما قال تعالى : ﴿**فطال عليهم الأَمَدُ فقستْ قلوبهم**﴾ [الحديد: ١٦]. وقيل : من قصر أمله قلَّ همُّه وتنوَّر قلبُه ؛ لأنه إذا استحضر الموت اجتهد في الطاعة »(٢) .

السابع والعشرون : الابتعاد عن الأجواء الإيمانية فترة طويلة :

وفي قول الله تعالى : ﴿ **فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم**

---

(١) فتح الباري ٢٣٦/١١ .

(٢) فتح الباري ٢٣٧/١١. انظر كتاب: ظاهرة ضعف الإيمان ، للشيخ محمد صالح المنجد صـ ٣٠- ٣١، مكتبة العلم .

فاسقون ﴾ما يدلُّ على أن طول الوقت في البعد عن الأجواء الإيمانية مدعاة لضعف الإيمان وضعف الهمَّة ؛ ذلك لأنه يفتقد الجوّ الإيماني الذي كان يتنعَّم في ظلاله ، ويستمدُّ منه قوة قلبه ، والمؤمن قليل بنفسه كثير بإخوانه ؛ يقول الحسن البصري – رحمه الله –: « إخواننا أغلى عندنا من أهلينا ؛ فأهلونا يذكِّروننا الدنيا ، وإخواننا يذكروننا بالآخرة » .

وهذا الابتعاد إذا استمر يُخلِّف وحْشة ، تنقلب بعد حين إلى نُفْرة من تلك الأجواء الإيمانية، يقسو على أثرها القلب ويُظلم ويخبو فيه نور الإيمان.

الثامن والعشرون : الابتعاد عن القدوة الصالحة :

فالشخص الذي يتعلَّم على يديْ رجل صالح يجمع بين العلم النافع والعمل الصالح وقوة الإيمان ، يتعاهده ويحذيه مما عنده من العلم والأخلاق والفضائل ، لو ابتعد عنه فترة من الزمن فإن المتعلم يُحسُّ بقسوة في قلبه ؛ ولذلك لمّا تُوفي رسول الله ﷺ ووُري التراب ، قال الصحابة : « فأنكرْنا قلوبَنا » . وأصابتهم وحشة ؛ كما جاء وصْفهم أيضًا : « كالغنم في الليلة الشاتية المطيرة ». ولكنه ﷺ ترك فيمن ترك وراءَه جبالًا ، كلٌّ منهم يسيِّر دنيا بأكملها ، فما ظنُّك بأيَّامنا هذه وحالتنا هذه ؟! والقدوة يحملك حمْلًا إلى الدار الآخرة ، لا غيره الذي يقول فيه الشاعر :

ولا تتخذْ في السيرِ رفقةَ قاعدٍ ودعْهُ فإنَّ الشوْقَ يكفيك حاملًا

التاسع والعشرون : هجْرُ القرآن وترْكُ تدبُّره :

قال ابن القيم رحمه الله : « حقيقٌ بالإنسان أن ينفق ساعاتِ عمره – بل أنفاسه – فيما ينال به المطالب العالية ، ويخلص به من الخسران المبين ، وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن ، وبفهمه وتدبُّره واستخراج كنوزه وإثارة دفائنه ، وصرْف العناية إليه ، والعكوف بالهمة عليه ؛ فإنه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد ، والموصل لهم إلى سبيل الرشاد، فالحقيقة والطريقة ، والأذواق

والمواجيد الصحيحة ، كلها لا تُقتبس إلا من مشكاته ولا تستثمر إلا من شجراته .. »[١] .

وهجْرُ القرآن يعمي الإنسان عن حقيقة وجوده ، ويُسفل همَّته ، ويُنسيه نفسه .

الثلاثون : ضَعْف الإيمان وأُلْفَة المعاصي :

قال رسول الله ﷺ : « إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فاسألوا الله أن يجدِّد الإيمان في قلوبكم »[٢] . يعني بذلك أن الإيمان يبلى في القلب كما يبلى الثوب إذا اهترأ وأصبح قديمًا .

وتعتري قلب المؤمن في بعض الأحيان سحابة من سُحب المعصية فيظلم ؛ كما قال ﷺ : « ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر ، بينا القمر مضَى إذ علتْه سحابة فأظلم ، إذ تجلَّتْ عنه فأضاء »[٣] .

ومن فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما ينقص منه ، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد إيمانه أو ينقص ؟ وإن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان أنَّى تأتيه ؟ .

والرجل إذا ضعف إيمانه تكاسل عن الطاعات وأضاعها ؛ كما قال الله تعالى في صفة المنافقين: ﴿**وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى**﴾ [النساء: ١٤٢].

السبب الأخير : ضعفُ الغيْرة ، وضعْفُ تعظيم الحرمات :

إذا انطفأ لهب الغيرة في القلب وتعطَّلت الجوارح عن الإنكار ، ولم يتمعَّر

---

(١) مدارج السالكين ١/٦- ٧ .

(٢) إسناده حسن : رواه الحاكم في المستدرك ، والطبراني في معجمه الكبير ، وحسَّن إسناده الهيثمي ، والألباني في السلسلة الصحيحة ، رقم ١٥٨٥ .

(٣) صحيح : رواه أبو نعيم في الحلية ، وصحَّح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٢٢٦٨ .

الوجه قطُّ في الله عز وجل والرسول ﷺ ، فلْينتظر العبد من دناءة الهمة وسفولها ما لا يتخيَّله العقل؛ قال ﷺ: «تُعرَضُ الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا ، فأيُّ قلب أُشرِبَها نُكِتَ فيه نكتة سوداء ، وأيُّ قلبٍ أنكرها نُكِتَت فيه نكتة بيضاء ، حتى تعود القلوب على قلبيْن : قلب أسود مُرْبادًّا كالكوز مُجَخِّيًا ، لا يعرف معروفًا ولا يُنكر مُنكرًا إلا ما أُشرِبَ من هواه . وقلب أبيض ، فلا تضرُّه فتنة ما دامت السماوات والأرض»[1] .

أي مسلم يرىٰ الواقع المُرَّ والخزيَ المرّ للمسلمين ولا يتحرَّكُ قلبه ، هل يبقى فيه من الخير شيء ؟! هل تكون له إلا أحقر الهمم ؟!

نامت ليالي الغافلينَ ولَيْلُنا أَرَقٌ يُذيبُ قلوبَنا وسهادُ
سُلَّتْ سُيوفُ المعتدينَ وعربَدَتْ وسُيوفُنا ضاقتْ بها الأغمادُ

وقال الشاعر :

قالوا سهِرْتَ وفي فؤادكَ حرْقةٌ تُدمي وألفُ تساؤل يتردَّدُ
وعلى جبينِكَ قصَّةٌ مكلومةٌ تروي المآسيَ للجميع وتسردُ
ودموعُك الملأىٰ بألفِ حكايةٍ رَسَمَتْ على خدَّيْكَ نارًا تُوقدُ
أنا يا صِحابُ قضيَّةٌ مسلوبةٌ لَعِبَ الدَّعِيُّ بها وغابَ السيدُ
أنا يا صِحابُ مشاعِرٌ موتورةٌ للثأر تسعىٰ والمسالِكُ تُوصَدُ
أنا يا صحابُ مدامعٌ محمومةٌ تَهْمي من الألمِ المميتِ فتبردُ
أنا يا صحابُ منَ الجراح معذَّبٌ في كلِّ أرض جُرْحُنا يتمددُ
في كلِّ أرضٍ تُستَبَاحُ دماؤنا في كلِّ أرضٍ يُستباحُ المسْجدُ

هذه الجراح ألا تحرِّك ساكنًا وتعلي هِمَّة ؟! هذا امرؤ القيس ، وكان ليلَه ونهارَه مع الخمر ، فلما قُتل والده ؛ قال:اليوم خمر .. وغدًا أمر ! أفما نُفيق ؟!

قال ﷺ : «إذا عُمِلَتِ الخطيئة في الأرض، كان مَن شهدها فكرِهها

---

(١) رواه مسلم عن حذيفة ، والمُرْبادُّ: هو المسودُّ ، ومجخِّيا : أي منكوسًا مائلًا .

- وقال مرة : أنكرها - كمن غاب عنها ، ومنْ غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها »[١] .

دنيءُ الهمَّة :

« عَقْله مسْبِيٌّ في بلاد الشهوات ، وأمَلُه موقوفٌ على اجتناء اللذَّات ، وسيرتُه جاريةٌ على أسوأ العادات ، ودينُه مُسْتَهْلَكٌ بالمعاصي والمخالفات ، وهِمَّته واقفةٌ مع السُّفْليَّات، وعقيدته غيرُ مُتلقَّاة من مشكاة النبوات ؛ فهو في الشهوات منغمس، وفي الشُّبهات منتكس، وعن الناصح مُعْرِض، وعلى المرشد مُعْترِض، وعن السَّرَّاء نائم ، وقلبُه في كلِّ واد هائم »[٢] .

رغب في مشاركة أبناء جنسه ، وخرج من فضاء العلم إلى ضيق الجهل ، وقبع في سجن الهوى و لم يخرج إلى ساحة الهدى ، لم يخرج من نجاسة النفس إلى طهارة القدس .

دنيء الهمَّة ، حُجُبُه كثيفة :

ودنيء الهِمَّة مَحجوبٌ وحُجُبُه كثيفة ، إن انفلت من حجاب منها لا يفلت من الآخر ، وهي عشرة :

«الأول: حجاب التعطيل ونفي حقائق الأسماء والصفات، وهو أغلظها؛ فلا يتهيأ لصاحب هذا الحجاب أن يعرف الله ، ولا يصل إليه ألبتة ، إلا كما يتهيأ للحَجَر أن يصعد إلى فوق .

الثاني : حجاب الشرك ، وهو أن يتعبد قلبه لغير الله .

الثالث: حجاب البدعة القولية، كحجاب أهل الأهواء والمقالات الفاسدة على اختلافها .

الرابع : حجاب البدعة العملية ، كحجاب أهل السلوك المبتدعين في طريقهم

---

(١) صحيح : رواه أبو داود ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٨٩ .

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٢٦٦ .

وسلوكهم .

الخامس: حجاب أهل الكبائر الباطنة، كحجاب أهل الكِبْر والعجب، والرياء والحسد ، والفخر والخيلاء ، ونحوها .

السادس : حجاب أهل الكبائر الظاهرة ، وحجابهم أَرَقُّ من حجاب إخوانهم من أهل الكبائر الباطنة، مع كَثرة عباداتهم، وزهاداتهم واجتهاداتهم؛ فكبائر هؤلاء أقرب إلى التوبة من كبائر أولئك ؛ فإنها قد صارت مقامات لهم لا يتحاشَوْن من إظهارها وإخراجها في قوالب عبادة ومعرفة . فأهل الكبائر الظاهرة أدنى إلى السلامة منهم ، وقلوبهم خير من قلوبهم .

السابع : حجاب أهل الصغائر .

الثامن : حجاب أهل الفضلات .

التاسع : حجاب أهل الغفلة عن استحضار ما خُلقوا له وأُريدَ منهم ، وما لله عليهم من دوام ذكره وشكره وعبوديته .

العاشر : حجاب المجتهدين السالكين المشمِّرين في السّير عن المقصود .

وهي تنشأ من عنصر النفس وعنصر الشيطان ، وعنصر الدنيا وعنصر الهوى . وهذه العناصر تُفْسد القول والعمل والقصد والطريق ؛ بحسب غلبتها وقِلَّتها ، فتقطع طريق القول والعمل أن يصل إلى القلب ، وما وصل منه إلى القلب قطعت عليه الطريق أن يصل إلى الرب . فبين القول والعمل وبين القلب مسافة يسافر فيها العبد إلى قلبه ليرى عجائب ما هنالك . وفي هذه المسافة قطّاع الطريق المذكورون »[1] .

يقول الإمام ابن القيم في « مدارج السالكين» (١/٤٠٠-٤٠٣)، مصوِّرًا حال أهل المعاصي - سافلي الهمم -: « الجهال الذين لا فرق بينهم وبين سائر الحيوان، إلا في اعتدال القامة ونُطْق اللسان، ليس همُّهم إلا مجرَّد نَيْل الشهوة

(١) مدارج السالكين ٣/٢٢٣- ٢٢٤ بتصرُّف يسير .

بأي طريق أفضت إليها. فهؤلاء نفوسُهم نفوسٌ حيوانية، لم تترق عنها إلى درجة الإنسانية ، فضلًا عن درجة الملائكة . فهؤلاء حالهم أخسّ من أن تذكر ، وهم في أحوالهم متفاوتون بحسب تفاوت الحيوانات ، التي هم على أخلاقها وطباعها .

فمنهم : مَنْ نَفْسُه كلبية ؛ لو صادف جيفة تُشْبع ألف كلب لوقع عليها ، وحماها من سائر الكلاب ، ونَبَح كل كلب يدنو منها ، فلا تقربها الكلاب إلا على كُرْهٍ منه وغلبة ، ولا يسمحُ لكلبٍ بشيءٍ منها . وهَمُّه شبع بطنه من أي طعام اتفق ؛ ميتة أو مُذكّى ، خبيث أو طيِّب ، ولا يستحي من قبيح ؛ إنْ تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، إن أطعمته بَصْبَصَ بِذَنَبِهِ ودار حولك ، وإن منعتَه هَرَّك ونَبَحكَ .

ومنهم : مَن نَفْسُه حمارية ؛ لم تُخلق إلا للكدِّ والعَلَف ؛ كلَّما زيد في عَلفه زيد في كَدِّه ، أبكمُ الحيوان وأقلُّه بصيرة .

ولهذا مَثَّل الله سبحانه وتعالى به مَن حَمَّله كتابه ؛ فلم يحمله معرفةً ولا فقهًا ولا عملًا . ومَثَّل بالكلب عالم السوء الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها ، وأخلد إلى الأرض واتَّبع هواه .

ومنهم : مَنْ نفسُه سبعيَّة غضبيَّة ؛ هِمَّتُه العدوان على الناس ، وقهرهم بما وصلت إليه قدرته .

ومنهم : مَنْ نَفْسُه فأْرِيَّة ، فاسق بطبعه ، مفسد لما جاوره ، تسبيحه بلسان الحال : سبحان من خلقه للفساد .

ومَن نَفْسُه على نفوس ذوات السموم والحُمات ؛ كالحيَّة والعقرب ، وهذا الضرب هو الذي يؤذي بعينه ؛ فيُدخل الرَّجل القبرَ ، والجَملَ القِدْرَ .

ومن الناس مَن طبعه طبع خنزير ؛ يمُرُّ بالطَّيِّبات فلا يلوي عليها ، فإذا قام الإنسان عن رجيعه قمَّه . وهكذا كثير من الناس يسمع منك ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوئ ، فلا يحفظها ولا ينقلها ولا تناسبه .

فإذا رأى سَقْطةً أو كلمة عوراء وجد بُغْيته وما يناسبها ، فجعلها فاكهته ونُقْله .

ومنهم : مَنْ هو على طبيعة الطاووس ؛ ليس له إلا التَّطوُّس والتزيُّن بالريش وليس وراء ذلك شيء .

ومنهم : مَن هو على طبيعة الجمل ؛ أحقد الحيوان وأغلظه كبدًا .

ومنهم: مَنْ هو على طبيعة الدُّب؛ أبكم خبيث، وعلى طبيعة القرد».

حياةُ مَنْ سفلت هممهم وتدنّت :

« صحبوا الدنيا صُحْبة الأنعام السائمة ؛ لا ينظرون في معرفة مُوجدهم وحقِّه عليهم ، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعبر إلى دار القرار ، ولا يتفكَّرون في قلَّة مقامهم في الدنيا الفانية ، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية. قد ملكهم باعث الحِسِّ، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم الغفلة، وغرَّتهم الأماني الباطلة والخدع الكاذبة؛ فخدعهم طولُ الأمل، وران على قلوبهم سوءُ العمل ، فهم في لذَّات الدنيا وشهوات النفوس كيف حصلت حصَّلُوها ، ومن أي وجه لاحت أخذوها ، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافاتٍ ووحدانا ، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابًا من الله ولا رضوانًا : ﴿ **يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ [الروم : ٧] . ﴿ **نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون** ﴾ »[١] .

فإذا نزل بهم الموت اشتدَّ قلقُهُم لخراب ذاتهم وذهاب لذَّاتهم ، لا لما سبق من جناياتهم وسَلَف من تفريطهم ، حيث لم يقدِّموا لحياتهم .

أخي : إنما يُقطع السفر ويَصِلُ المسافرُ بلزوم الجادَّة وسَيْر الليل ، فإذا حاد المسافر عن الطريق ونام الليل كله ؛ فمتى يصل إلى مقصده ؟

قال رسول الله ﷺ : « لا يزال قوم يتأخَّرون حتى يؤخِّرهم الله »[٢] .

---

(١) حادي الأرواح صـ ٥ .

(٢) أخرجه مسلم وابن خزيمة في صحيحه .

أخي :

« إذا رأيتَ النفوس المبطلة الفارغة من الإرادة والطلب لهذا الشأن قد تشبَّث بها هذا العالمُ السفليُّ ، وقد تشبثت به ؛ فَكِلْهَا إليه ؛ فإنه اللائق بها لفساد تركيبها، ولا تنفس عليها ذلك، فإنه سريع الانحلال عنها، ويبقى تشبُّثها به مع انقطاعه عنها عذابًا عليها بحسب ذلك التعلُّق ، فتبقى شهوتها وإرادتها فيها وقد حيل بينها وبين ما تشتهي ، على وجهٍ يئست معه من حصول شهوتها ولذَّتها . فلو تصوَّر العاقل ما في ذلك من الألم والحسرة ؛ لبادَر إلى قَطْع هذا التعلق، كما يبادر إلى حَسْم مواد الفساد . ومع هذا فإنه ينال نصيبه من ذلك ، وقلبه وهمُّه متعلِّق بالمطلب الأعلى والله المستعان »[1] .

أخي :

إن الطبع الردي لا يليق به الخير.. هذه الخنفساء إذا دُفنت في الورد لم تتحرَّك، فإذا أُعيدَت إلى الرَّوَث رتعت، وما يكفي الحية أنْ تشرب اللبن حتى تمجَّ سمَّها فيه؛ وكلٌّ إلى طبعه عائد .

يا أطفال الهوى ، أين أنتم والرجال ؟!

لمن أُصَفِّي وأَصِف ؟ أفي عزمك اتباعي فأقف ؟ الليل يضجُّ من طول نَوْمك،والنهار يستغيث من قبيح فِعْلِك .

قد قيَّد الطَّرْد قدميْك، وغلَّ الإبعاد يديْك، أفما لك عين تبكي عليْك؟!

وفي نظر الصادي إلى الماء حسرة　　　إذا كان ممنوعًا سبيل المواردِ

* * *

(١) الفوائد صـ ١٧٩ لابن القيم .